العراق والصراع الناعم

حسن الربيعي



العراق والصراع الناعم

العراق والصراع الناعم

حسن الربيعي

الطبعة الأولى ٢٠١٩



دار قناديل
للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي
+964 (0)7801912445
+964 (0) 7711313929
ganadel.1986@gmail.com
Srusru31@gmail.com
العراق _ بغداد _مكتب بريد عدن, ص. ب ٧٥٠٢١

ISBN : 978-1773-2294-4-7

العراق والصراع الناعم

حسن الربيعي



دار قناديل
للنشر والتوزيع

الإهداء:

أهدي هذا الجهد إلى

منطلق الإنسانية ومستقبلها، مهد الحضارة وخاتمها

إلى حبيبي العراق

شكر وتقدير

عظيم شكري وامتناني لجميع الأساتذة الكرام الذين وهبوني من وقتهم الثمين، وساندوني في إنجاز هذا المؤلف.

والحب، كل الحب لرفيقة الدرب الزوجة العزيزة التي ساندتني بجميع صفحات حياتي.

ويستمر شكري وتقديري لكل من اهتم بهذا المؤلف وقدم لي مقترحاته لتطوير مؤلفاتي اللاحقة بإذن الله. دمتم أحبتي..

مقدمة:

يتغير العالم، وتتغير معه وسائل التفاهم، والتخاصم بين الأفراد، والمجتمعات والدول، وتتسابق العقول في ابتكار الجديد، والمميز لغلبة الآخر، والتفوق عليه. هكذا هي طبيعة الحياة صراع دائم للهيمنة، وفرض الوجود بمختلف الوسائل والأدوات، وسبل المواجهة بين (ظاهرة، وباطنة) و(خشنة، وناعمة) وبين جانب محق، وعادل، وآخر غاشم وظالم، مما جعل طرائق التفكير تتنوع، وتتفاوت الخطط بين قريبة الأجل، إلى متوسطة، ثم بعيدة الأجل.

وسعت الولايات المتحدة الأمريكية في عصرنا الحالي للتفرد والهيمنة بالقرار الدولي والنظام الاقتصادي العالمي عبر منظمات أممية تم تأسيسها لهذا الغرض، وجمعت لأجلها حلفاء ومناصرين لمواجهة الخصوم والمناوئين، والأعداء. وكانت القوة العسكرية وإلى زمن قريب خياراً متقدماً في أولوياتها؛ لتحقيق أهداف سياستها الخارجية، إلا أن متغيرات حصلت في العالم أدت إلى تقدم خيار القوة الناعمة على بقية الخيارات عند صانع القرار الأمريكي ضمن استراتيجية العولمة التي تتطلب

نشر القيم الأمريكية والسيطرة على المواقع الأولى في العالم باختيار الوسائل والأدوات التي تحقق قدراً عالياً من الجاذبية والقبول لدى الفئات المستهدفة بكلفة مالية منخفضة بما يخفف من أعباء الميزانية المالية المخصصة للسياسة الخارجية مع سعة الأهداف المتحققة، مما دفع لتصاعد الاهتمام بالقوة الناعمة عند رسم الخطط الاستراتيجية كما جاء بتقرير مجلس الاستخبارات الوطني الصادر عام ٢٠١٢ عند تحديد الأولويات الاستراتيجية للولايات المتحدة لعام ٢٠٣٠.

وشهد مفهوم القوة الناعمة تألقاً عند نهاية القرن المنصرم، وأصبح موضع اهتمام الدوائر السياسية، والثقافية، والأمنية، والعسكرية، والأكاديميين، والنخب في دول عدة، ولا سيما في الولايات المتحدة الأميركية التي أنتج مفكروها فلسفة المفهوم بأبعاده المختلفة، ولم يدخل المفهوم حيز التداول في البلدان العربية، والإسلامية إلا مؤخراً عند تتبه النخب والسياسيين، والقادة لهذا المفهوم فأصبح محل اهتمام الدوائر المختصة، ووسائل الإعلام الواعية، وبدأت الندوات، وملتقيات الحوار تتداوله بالبحث والتمحيص.

وبعد شيوع مفهوم القوة الناعمة بدأ يتنامى مفهوم الحرب الناعمة في الميدان السياسي لا سيما عند تطور المواجهات،

وتوتر العلاقات بين الدول وتحديداً عند دخول الولايات المتحدة الأمريكية بعداء واضح مع جمهورية إيران الإسلامية، وتصاعد وتيرة المواجهات الكلامية بينهما، فطرحت المقالات والدراسات والكتب بهذا الصدد، وما زالت مراكز البحوث والدراسات ووسائل الإعلام تتناول مختلف الآراء والتوجهات عن الحرب الناعمة.

وثمة صراع ناعم يدور منذ زمن بعيد، ويتجدد على الدوام تستخدم فيه أدوات، ووسائل غير عادية في المواجهة، ألا وهو صراع الحضارات، ويكون العراق طرفه الدائم، وتتغير وتتبدل أطرافه الأخرى، وبدا واضحاً في زماننا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الندّ المصارع عندما اتخذت قرارا بإسقاط نظام الدكتاتور المتسلط عام ٢٠٠٣م، ومن ثم إعلانها احتلال العراق بعد حملة عسكرية غير مسبوقة خلافاً للأعراف، والمواثيق الدولية، وصاحب حملتها العسكرية تنشيط كبير، ومميز لقواها الناعمة في ظل تردّي الوعي، وضعف الاهتمام، وغياب الاستعدادات الرسمية، والارشادات التوعوية في مواجهة الهجمة التي تستهدف العمق الحضاري والنسق القيمي والموروث الثقافي والبناء الاجتماعي.

وتدير الولايات المتحدة الأمريكية صراعها الناعم مع

العراق عبر توجيه قواها الناعمة نحو شرائح مختلفة بهدف تغيير التوجهات العامة للمجتمع بما ينسجم مع نمط الحياة الأمريكية، وبما يخدم أهدافها الظاهرة، والباطنة لتغيير السلوك الحضاري للأفراد، والمجتمع من خلال الترويج بكثافة لقيم جديدة بعيدة عن ثقافة المجتمع المتوارثة، وعمقه الحضاري، وهو هدفها الأساس من الصراع.

وكان طلبة الجامعات أكثر شرائح المجتمع استهدافاً بوصفهم طليعة الشباب العراقي، إذ يسّرت لأدواتها ووسائلها أن تصل إليهم بسهولة لإحداث التأثيرات المخطط لها في سلوكهم الحضاري. وكل ذلك يجري في وقت تشهد فيه مؤسسات الدولة العراقية حالة من الإرباك والضعف في أداء واجباتها الخدمية، وضعف أداء المختصين في إدارة العمل الاجتماعي وقلة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية، والبناء الحضاري؛ نتيجة للظروف الاستثنائية التي يمر بها العراق، ومن المتوقع أن تُحدث القوة الناعمة الأمريكية خللاً في السلوك الحضاري لطلبة الجامعات العراقية مما يتطلب دراسة هذه الظاهرة للتعرف على أهدافها، ووسائلها، ومستوى تأثيرها، وسبل مواجهتها. وقد تم ذلك، ولله الحمد.

ويمثل الكتاب الحالي، وهو باكورة التأليف دراسة واقعية

استثمرت منهجية البحث العلمي، والأساليب الكمية في التعامل مع الموضوع بعد التطرق لمباحث متعددة منها العمق الحضاري للعراق، واستراتيجية الولايات المتحدة، وأنواع القوى، والحروب التي تقترب في جذورها، ووسائلها من مفهوم الصراع الناعم، ثم مفهوم السلوك الحضاري، وطبيعة إدارة العمل الاجتماعي، مع تحليل للواقع العراقي باستخدام الوسائل الإحصائية المتنوعة، وتفسير ومناقشة للنتائج، وتثبيت سبل مواجهة الصراع الناعم لحماية النمط الثقافي والعمق الحضاري العراقي. ومن الله التوفيق.

حسن الربيعي

بغداد/كانون الأول/٢٠١٨

العمق الحضاري للعراق:

نحنُ ابناء وادي الرافدين موطن الرسل والانبياء ومثوى الائمة الاطهار ومهد الحضارة وصنّاع الكتابة ورواد الزراعة ووضّاع الترقيم. على أرضنا سنَّ أولُ قانونٍ وضعه الإنسان، وفي وطننا خُطَّ أعرقُ عهد عادل لسياسة الاوطان، وفوقَ ترابنا صلى الصحابةُ والاولياء، ونظَّرَ الفلاسفةُ والعلماء، وأبدعَ الادباء والشعراء. العراق شيعةً وسنةً، عرباً وكرداً وتركماناً، ومن مكونات الشعب جميعها، لم يثننا التكفيرُ والارهابُ من أن نمضي قُدماً لبناء دولة القانون.

هكذا يعرّف أبناء وادي الرافدين بأنفسهم معتزّين بعمقهم الحضاري، وأرضهم التي كانت منطلقاً للإنسانية بحضارتها وثقافتها وأديانها وقيمها وأمجادها وعلومها وعظمائها، فالعراق موطن الحضارة وهو بلد النهرين العظيمين دجلة والفرات، وفيه اشتهرت قصص ألف ليلة وليلة، وهو الجناح الشرقي للهلال الخصيب، وبلاد الرافدين تعني أشياء كثيرة ومتنوعة، فهي تستحضر في الذهن صورة الطوفان العظيم وبرج بابل والجنائن المعلقة وغيرها الكثير. ويترابط الاسم لدى بعض الناس بشريعة حمورابي أو موت الإسكندر العظيم، وعدالة الإمام علي بن أبي طالب في الكوفة، ومعالم بغداد وعلومها وزهوها وألقها.

وفي الوقت الحاضر يرتبط اسم العراق بمستودعات النفط في المنطقة العربية ومحور الشرق الأوسط الجديد.

والحضارة العراقية من أعرق الحضارات الإنسانية المعروفة، فلموقعه الجغرافي أثر في حياة الإنسان وسير حضارته سواء من ناحية البيئة والمناخ والزراعة والحياة الاقتصادية أم من ناحية التركيبة السكانية التاريخية وامتداداته واتصالاته بالأقطار المجاورة والمحيطة به إلى غير ذلك مما للموقع الطبيعي من نتائج مؤثرة في حركة التأريخ والحضارة. وذلك صراع طويل خاضه الإنسان العراقي القديم ضد تحدي الطبيعة وكان دوره حاسماً في التغلب على البيئة وتسخيرها لخدمته.

ويظهر للباحثين أن السومريين وضعوا الأسس الاولى والراسخة للحضارة الإنسانية في جانبها المادي والروحي، ومن أبرز نتاجاتهم الكتابة وتشريع القوانين والعلوم والطب والصناعات والحرف والعمارة والري وكذلك الدين والقيم الأخلاقية والفكرية والآداب والفنون وغيرها.

واكتشف المنقبون آلاف الألواح المكتوبة بالخط المسماري، التي فك شفرتها اللغوية علماء اللسانيات، ومن أبرزهم العالم الامريكي من أصول روسية (زكريا سيتشن)، الذي كشف عن

لوحات فيها رسوم متقدمة جدا عن نظامنا الشمسي وكواكبه ويظهر فيها (١٢) كوكباً مثبتة بشكل دقيق من حيث الأحجام والأبعاد والأشكال، ولا تختلف تصوراتهم عما توصل اليه علماء الفلك في زماننا، وبعد سنوات من الدراسة والتحليل توصل عدد من الباحثين إلى استنتاجات مفادها أن عمالقة هبطوا من الفضاء فوق سطح الأرض في زمن قدر بأكثر من (٥٠٠٠) سنة قبل الميلاد، وعلموا سكان جنوب العراق ما لم يكونوا يعلمون، وأن كائنات متقدمة عرفت باسم (أنوناكي)، وتعني الذين أتوا من السماء إلى الأرض، قد جاءوا من كوكب يدعى (نيبيرو) الذي يعتقد السومريون أنه موجود بين المريخ وزحل[1] ليرسموا معالم الحياة على الأرض ومنذ ذلك الحين انطلقت من العراق مسيرة بناء الحضارة الإنسانية.

تميّز الهوية الحضارية العراقية:

اتصفت الهوية الحضارية في وادي الرافدين بالتميز الثقافي والمدنية والرفاه الاقتصادي وغيرها من السمات الجاذبة للناس

---

(١) للاستزادة يراجع كتاب انكي المفقود لزكريا ستشن، وكتاب دراسات تاريخية من القرآن في العراق تأليف محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية، والاطلاع على ما نشره مركز الابحاث العقائدية على الرابط الاتي:
http://www.aqaed.com/faq/8556

من بقاع الأرض كافة، وخلُص الباحث أحمد القصير [١] إلى مجموعة استنتاجات، وهي أن البناء الحضاري في الهوية الذاتية للإنسان العراقي القديم أهم مرتكزات هذه الحضارة. وجاء حفاظ المدينة العراقية وحمايتها للهوية الثقافية والحضارية من خلال ما تمتعت به من دراية بأهمية الإعداد الاجتماعي لسلوك الوافدين إذ كانت تشكل مركزاً للاستقطاب الحضاري في العالم. وأدى الرخاء الاقتصادي إلى نشوء المدن كتجمعات سكانية غير متجانسة ومتعددة الانتماءات الثقافية الفرعية وأصبحت بوتقة لصهر هذه الثقافات وتوحيد الانتماءات الفردية إلى انتماءات عامة اتخذت سمة المواطنة التي كانت العامل الأساس في الحياة الحضرية. واتصف الإنسان العراقي بالتمدن مما سهل عملية التفاعل الاجتماعي بين أفراد المدينة ووحّد ثقافتهم وميّز هويتهم. والتبادل الثقافي بين الحضارة العراقية والحضارات المجاورة لها تم من خلال بلورة السلوك وتمثله بما يضفي عليها السمة والخصوصية العراقية السائد.

وعلى الرغم من تواصل الحضارة العراقية مع الحضارات الأخرى استطاعت المدينة العراقية القديمة أن تحافظ على هويتها الثقافية والحضارية، وكان تفاعلها مع الحضارات

---

[٢] (المدينة والمدنية في الحضارة العراقية القديمة) احمد رهمة القصير.

الأخرى تفاعلاً إيجابياً باستثمار الخبرات المتراكمة في بناء النظم والأنساق الاجتماعية التي تؤهلها للاستمرار والتطور، وقامت الحضارة العراقية القديمة على مثل ذلك الاستثمار الذي أهلها لإنشاء حضارة اتسمت بالخلود على مر الزمن ومازال يشار إليها بالبنان بعد مرور أكثر من ستة آلاف عام على نشوئها.

وكان العراقي هو العامل الأهم في نشوء هذه الحضارة إذ سكن المدينة واتسم بالصفة المدنية وقدّم للعالم العديد من المخترعات التي سهلت عملية الاتصال والتواصل بين بلدان المعمورة آنذاك مع أنه لا يمكن إنكار الدور الحضاري للحضارات المتزامنة والمعاصرة تاريخياً لها.

وأثمرت جهود العراقيين في تفاعلهم مع البيئة الطبيعية في وسط وجنوب العراق بتذليلهم للبيئة واستغلالهم إمكاناتها العظمى، وقام العراقيون الأقدمون باستغلال ارتفاع مناسيب نهر الفرات قياساً إلى دجلة فشقوا أنهراً عديدة من الفرات إلى دجلة لتروي أراضي واسعة بينهما. ولذلك اتسعت شهرة البلاد بالزراعة وأطلق عليها المؤرخون العرب بـ(أرض السواد) لكثرة زرعها وخضرتها وانتشار زراعة البساتين فيها مما ساعد كثيراً على الاستقرار ومن ثمّ نشوء الحضارات المتقدمة وتطوّرها.

ومما يميز الحضارة العراقية أنها انتجت أولى الشرائع المدّونة في تأريخ العالم[1]. ومن ثمراتها الناضجة نشوء الصناعات الأولى، والتجارة لا سيما التجارة الخارجية لجلب المواد الخام التي اعتمدت عليها تلك الصناعات، وما صاحب ذلك من تقدم العلوم والآداب والفلسفة. وكان للأدب الكثير من الاهتمام إذ قدم العديد من الملاحم والقصص والأساطير، وكان الشعر السومري والبابلي يخضع لفن خاص من النظم والتأليف والوزن ولكن بلا قافية. وما خلفه لنا العراقيون القدماء من الروائع الأدبية أكثر من أن تحصى وأهمها (قصة الخليقة) و(قصة الطوفان) و(ملحمة جلجامش) وعدد آخر من الأساطير.

العراق والحضارة العربية الإسلامية

لم يكن مجيء الإسلام حدثاً تقليدياً في عصره نظرا لطبيعة نظرته الثورية الشاملة حضارياً واجتماعياً، وطبيعة الزمان الذي جاء فيه إذ وصل تدني العلاقات الاجتماعية والإنسانية حداً لا ينفع معه إلا التغيير الجذري وإعادة البناء على أسس جديدة، فالإسلام جاء للوعظ والتغيير الشامل للحياة.

[1] للاستزادة يراجع دراسة بعنوان القانون في حضارة وادي الرافدين.

ولم يكن الإسلام مجموعة تشريعات فقط، إنما حقبة حضارية جديدة تأتي وفقاً لنمط تكاملي يحمل معه نظرته إلى الحياة

والأشياء وفلسفته في الفكر والإبداع. إذ بدأ بإيقاظ الإنسان عن طريق تثوير وعيه، وبناء ذاته وتنمية مهاراته وإتمام أخلاقه وتطوير الجانب الإنساني ثم إعادة تركيب الظروف الموضوعية المحيطة بالإنسان وتنظيمها. وانتهج الإسلام نهجاً متميزاً في بناء الحضارة منطلقاً من الموقف الفكري الجديد الذي تجاوز به التفاصيل الجزئية التي كانت تشغل الإنسان في محيطه الضيق، إلى حالة التأمل والتفكر والتفكير بالظواهر الفلكية والأفق الأوسع للحياة قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ سورة البقرة، الآية ١٦٤. ودعاه إلى طلب العلم والسعي والعمل ونبذ الكسل والتوجه نحو بناء الحياة، وما يترتب على ذلك من تغيير في سلوكه وتطوير للبيئة الاجتماعية ووسائل العيش وخلق حياة أفضل.

كما حرص الرسول الأعظم محمد (ص) على دعوة أتباعه

للهجرة إلى المدينة المنورة لأسباب عديدة كان من بينها رغبته في أن يعيش المسلم في مجتمع جديد ويتطبع به، فالمسلم عندما يهاجر ينقطع عن قومه وعشيرته انقطاعاً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً واقتصادياً، ومثل هذا الانفصال الظرفي ضروري لغرس القيم الفكرية والاجتماعية الجديدة للوصول إلى الغاية المقصودة في صناعة المجتمع الجديد وإشاعة الانسجام والتعايش المجتمعي ولكي يتيح للمسلم أن يكون مؤمناً في جوهره وسلوكه العام، أي يصبح عضواً في المجتمع الجديد ومهيأ للاندماج معه والانطلاق وفقاً لنمط الحياة التي رسمها الإسلام.

وتلازمت الدعوة إلى التمدن بالجهاد بمعنى رفد الحقبة الحضارية الجديدة بمادة بشرية مستمرة تضمن الحفاظ على ديمومة التمدن واحتواء الناس في عملية تهذيب اجتماعي وثقافي وسلوكي، وقيمة هذا التلازم في طبيعة الأمصار العربية الأولى (البصرة، والكوفة، والفسطاط) التي رغم الضرورات العسكرية لإنشائها فإنها أصبحت مراكز تمدن اجتماعي وحركة فكرية ونشاط حضاري ارتكزت عليها حقبة كاملة رغم تخليها عن دورها في زمن لاحق لمراكز جديدة كمدينة بغداد.

وترافقت اتجاهات التمدن والتحرر والوحدة مع اتجاهات

نمو العقيدة الجديدة التي تؤطرها ومع توجهات بناء دولة العقيدة وجاء هذا متوافقاً في الزمن والحركة مع الدور العالمي للمجتمع الجديد. ومثل هذا الأداء المتوازن هو الذي جعل المجتمع المحارب الذي أسسه الإسلام لا ينسى كونه مجتمعاً مجاهداً ويدرك بسرعة أن تحرير المجتمع الإنساني يستلزم تقديم الصورة المادية الجديدة لهذا المجتمع فينتقل بسرعة من الطبيعة القتالية إلى الاستقرار وممارسة التجديد والإبداع، وهو ما ظهر أولاً في الكوفة والبصرة والفسطاط والشام والقيروان، وبلغ اعلى أشكاله في بغداد فيما بعد التي أصبحت قاعدة لدور حضاري عالمي إنساني.

وأصبح للإسلام واحدة من أعظم وأهم المدنيات والحضارات، وكان للعراق دورٌ فاعل في بناء هذه الحضارة، فبعد أن فتحه المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين في القرن السابع الميلادي وأزاحوا الدولة الساسانية، وأصبح العراق مركزاً للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم كان العصر الذهبي للعراق خلال عهد العباسيين واتخاذهم لبغداد عاصمة لهم في زمن أبي جعفر المنصور، وبلغت بغداد ذروة التقدم العلمي في عصر هارون الرشيد ٧٨٦م– ٨٠٩م وابنه المأمون ٨١٣م– ٨٣٣م وصارت أهم مدن الشرق، وذاع

صيتها وانتشرت أخبارها، وأرسلت إليها الرسل من بلاد التتر والهند والصين وعاهل الغرب الإمبراطور شارلمان.

والمغولُ هم الذين قَضَوا على الخلافة العباسية إذ استولوا على بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وخربوها تماماً، وقتلوا آخر أمرائها وهو المستعصم بالله، ونهبوا أموالها، وحرقوا كتبها وألقوا معظمها في نهر دجلة، التي أصبح ماؤها أسوداً من مدادها. ثم خضع المغول لحضارة المغلوبين، حتى إن هولاكو الذي خرب بغداد بهرته عجائب حضارتها ولم يلبث أن صار من حماتها، وتمدن المغول في مدرستها، واعتنقوا دينها، وشملوا متفنني العرب وعلماءهم برعايتهم، ثم قاموا بحمل حضارة العرب معهم إلى بلاد الهند التي أقاموا فيها دولة قوية وأحلّوا حضارة العرب محل حضارتها القديمة.

وهكذا هي بغداد حضارة متميزة على مر العصور حتى من دخلها غازياً همجياً فُتن بها وامتزج بحضارتها وأخذ من علومها وفنونها وثقافة أهلها.

ومن الصفات التي لازمت المجتمع العراقي على مر العصور تمسكه بالعادات والتقاليد القبلية الموروثة، وحين يدرس الباحث تاريخ العراق الاجتماعي منذ أقدم عصوره حتى عصرنا هذا،

يجد القيم البدوية تستفحل فيه حينا ثم تتقلص عنه حيناً آخر. والقبيلة والعشيرة أصل قديم ومؤثر في شخصية الفرد العراقي وعلى النظام الاجتماعي في العراقي، وما زالت تشكل وحدة اجتماعية قائمة وفاعلة لها شخصيتها المعنوية في المجتمع العراقي الريفي والمدني، ويعود إلى عمق انتماء المجتمع العراقي للقبائل العربية.

ويعتز أبناء العراق بقيمهم الحضارية الإسلامية والاجتماعية والقبلية، وتأريخهم الذي ارتبط بميلاد النبي إبراهيم (ع)، ومسيرة الكثير من الأنبياء عليهم السلام، مثال ذلك آدم ونوح وهود وصالح، وذي الكفل، وسليمان، وأيوب ويونس وحزقيل ودانيال وغيرهم، ولكثير من مراقد وأضرحة أئمة المسلمين عليهم السلام كالإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسين، وأخيه أبي الفضل العباس، والإمامين الكاظمين، والإمامين العسكريين، وموقع غيبة الإمام المهدي، والإمام عبد القادر الجيلاني، والإمام أبي حنيفة النعمان، وكثير من مراقد ومقامات أولاد الأئمة وصحابتهم وأتباعهم.

ويأمل العراقيون ومعهم الكثير من المؤمنين والحكماء والمفكرين التواقين لبسط الأمن والقسط والعدل ليحل السلام بين جميع البشر على يد المنقذ الموعود (الإمام المهدي عليه

السلام) ويترقبون عودة السيد المسيح عليه السلام، لينطلقا من أرض العراق لبناء الحضارة الخاتمة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً. إذ ستكون نقطة الانطلاق إلى فتح العالم هي مدينة الكوفة من العراق، وستكون في المدى القريب عاصمة الدولة العالمية المهدوية، وإنها ستكون شاملة لجميع الناس وتعم المجتمع البشري كله.

العولمة الأمريكية

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ونهاية الحرب الباردة اتضحت معالم الاستراتيجية الأمريكية حين أعلنت أنها أصبحت الحاكم الأقوى في العالم وستعمل على نشر القيم والسلوك ونمط الحياة الأمريكي في العالم كله تحت مسمى العولمة، أي: إن الأنموذج الأمريكي سيتوسع وينتشر ويصل إلى الجميع، حينئذ سيكون للعولمة معنى واحد هو أمركة العالم، وفي ذلك يشير فريدمان: نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، العولمة هي الأمركة والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوةٌ ثورةٌ خطيرةٌ، وأولئك الذين يخشوننا على حق، إن صندوق النقد الدولي قطة أليفة بالمقارنة مع العولمة، في الماضي كان الكبير يأكل الصغير، أما الآن فالسريع يأكل البطيء.

واتخذت الولايات المتحدة من العولمة إطاراً عاماً في رسم سياساتها لتنفذ من خلالها إلى جميع مجالات الحياة، وتنشر رسالتها وأفكارها في جميع بقاع الأرض وتطبق رؤيتها في إدارة المجتمعات البشرية وترسم توجهاتها وتقرر مصيرها. وطرحت العولمة كنظام أو نسق ذي أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد لتطال الإنسان في كل مجال، متحدية قدرة خصوصياته القومية والفردية على الصمود في وجه مدها، وواضعة مناعته الذاتية موضع

اختبار صعب إذ تجري عولمة القيم والأخلاق وأنماط العيش ومناهج التفكير في ظل عولمة شاملة ذات أبعاد إيديولوجية وسياسية، واقتصادية، واجتماعية وثقافية، وعسكرية وأمنية. وأصبحت المجتمعات العالمية ومنها المجتمع العراقي أمام تحد كبير قد يغير من نظرتها للحياة والكون، ويعيد تشكيل علاقات أفرادها بمحيطهم الخارجي، مما يعني أن طبيعة البناء الأسري والاجتماعي والثقافي سيعاد صياغته من جديد وفقاً للنمط العالمي الذي تطرحه العولمة في صيغتها الحالية المتمثلة بالأنموذج الأمريكي.

العولمة:

لا يزال مفهوم العولمة يكتنفه الغموض، ويذهب المفكرون والنقاد والمحللين مذاهب شتى في فهمه وتعريفه وتفسيره، وتأتي أحكامهم أحيانا غامضة ومتباعدة لاختلاف المنطلقات، والتوجهات. ومن المهم التعرف على مدياته وتأثيراته على الفرد والمجتمع. فالعولمة وما يترابط بها من ظواهر وتيارات ومشكلات عابرة للحدود تخلق حقائق جديدة تتضمن قيودا متنوعة تحد من قدرة الدولة. ويذكر أن مصطلح العولمة انتشر منذ أوائل تسعينيات القرن المنصرم في العديد من الكتابات السياسية والاقتصادية قبل أن يكتسب دلالاته الاستراتيجية والثقافية بعد أن تناوله مختصون ومفكرون

في ميادين الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، والأمن، وغيرها.

ويرجع أصل كلمة عولمة إلى القرية الكونية Global Vil-lage الذي صاغه المارشال ماكلوهان في أواخر ستينيات القرن المنصرم الذي اهتم ببلورة فكرة تقليص سرعة حركة المعلومات للمسافات الجغرافية التي يتحول العالم بموجبها إلى قرية واحدة صغيرة يعرف كل فرد من أفرادها ما يجري في أي مكان منها ويفتح آفاق واسعة أمام الإنسان بما يترتب عليها من بلورة لطاقات مختلفة واقتحام لمجالات جديدة توسع مدارك الإنسان وتغير ثقافته ونظرته للحياة.

وتبنى زبيغينو بريجنسكي فكرة القرية الكونية الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي جيمي كارتر (١٩٧٧- ١٩٨١)، وعمل على طرح القيم الأمريكية في الحرية وحقوق الإنسان وفقاً لأنموذج كوني للحداثة. وهيمنت العولمة بنهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين على ما عداها من موضوعات في علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والاتصالات والمعلوماتية وبدت وكأنها ظاهرة تاريخية تؤسس لتحولات عميقة في صميم الإنسانية، تطمح وبشكل أساسي للعبور على مفهوم الدولة التي تعدها قد استنفذت دورها التاريخي. مما يعني فتح الحدود في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

والأمنية. أي أنها تروم الوصول إلى عالم بلا حدود. وتحمل في طياتها أوجه وإفرازات إيجابية وأخرى سلبية، وتسعى إلى تسليط منظومة تشريعية عالمية تسيطر وتهيمن أو تنفذ بوساطتها أمريكا والغرب على العالم أجمع.

ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التقنيات، والمعلومات، وطبيعة العلاقات الدولية المعاصرة[١].

امتدت العولمة لتمس الثقافة بمعناها العام وتحدد الهوية القومية والوطنية للمجتمع وتحدد مصالحه وخصوصياته وترمي إلى تعميم نماذج للسلوك ونمط العيش، فهي تحمل ثقافة تسعى

---

[١] للتعرف على المزيد من الآراء والتعريفات بخصوص العولمة يمكن الاطلاع على المصادر الأتية: علي عقلة عرسان، (١٩٩٩): العولمة والثقافة، مجلة الفكر السياسي/ العدد المزدوج الخامس والسادس دمشق، ص: ٢١٦. وفضل الله محمد سلطح، (ب. ت): العولمة السياسية، مكتبة بستان المعرفة، ط ١، ص: ١٠. وستار جبار علاي، (٢٠١٦): الأرض المحرمة كوريا الشمالية، العربي للنشر والتوزيع، ط ١، ص: ٦٩. وعزت السيد أحمد، (٢٠٠٠): انهيار مزاعم العولمة، من منشورات اتحاد الكتَّاب العرب، دمشق. وصالح حسين سليمان الرقب، (٢٠٠٨): العولمة الثقافية، آثارها وأساليب مواجهتها نشر في كتاب مؤتمر (العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي في المجالين الثقافي والاقتصادي) عمان، الأردن، ص: ٤. وعبد الرضا حسين الطعان، وآخرون، (٢٠١٥): موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ص: ٦٧٧. ونداء صادق الشريفي، (٢٠٠٧): تجليات العولمة على التنمية السياسية، دار جهينة، عمان، ص: ٣٤. وأحمد عثمان التويجري، (٢٠٠٠): الدين والعولمة، المجلة العربية، العدد ٢٧٣، ص: ٣٨. وبربر علوي السادة، (٢٠٠٠): العولمة طريق الهيمنة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٠٩، ص: ٦.

لتعميمها على ثقافات ومجتمعات أخرى وتؤدي إلى تغيير منظومات وقيم وإحلال أخرى محلها ليست بالضرورة أفضل من التي طالها التغيير، فضلاً عن كونها لا ترتبط بخصوصيات الأمم وثقافاتها وعمقها الاجتماعي والحضاري، مع تحييد قوة وسلطة الدولة أو استلابها وانتزاع مقومات حضورها وتأثيرها الاجتماعيين وفرض

نوع من التأثير على نمط التفكير والذوق العام. فبدلاً من الحدود الثقافية الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة حدوداً جديدة وأطراً فضفاضة لم يألفها العالم من قبل.

ومن أهم مجالات العولمة الأمريكية:

أولاً: الجانب الاقتصادي: إذ ترتكز العولمة بهذا الجانب على فكرة وحدة السوق الاقتصادي، وتسهيل حركة رأس المال، وجعل الدولار الأمريكي معياراً للنقد الدولي، وإطلاق حرية الاقتصاد بعدة وسائل، منها البنك الدولي. وصندوق النقد الدولي. ومنظمة التجارة العالمية. والشركات الكبرى متعددة الجنسيات. والإعلام والدعاية لترويج المنتجات الاستهلاكية.

ثانياً: المجال الفكري والثقافي: بترويج المبادئ والقيم الأمريكية، بواسطة الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية

في مجالات حقوق الإنسان، والديمقراطية، وحرية الرأي، وحقوق الأقليات، وكذلك حقوق المرأة، وتسويقها لمفهوم الجندر وغيره من المفاهيم التي تحمل بين طياتها معان متعددة وغير واضحة.

ثالثاً: الجانب الاجتماعي: إذ تم نقل طبيعة المجتمع الأمريكي ونمط حياته وسلوكه وعاداته وتقاليده إلى العالم وجعلها المثال والقدوة، بوسائل متعددة كالمؤتمرات الدولية في مجالات التنمية والمرأة والشباب والطفولة وعن طريق القنوات الفضائية، وشبكة الأنترنت وغيرها.

رابعاً: الجانب السياسي: باستخدام منظمة الأمم المتحدة بعد السيطرة على مؤسساتها السياسية لا سيما مجلس الأمن، واستخدام حق النقض عند الضرورة، والضغط على الحكومات والشعوب لغرض تبني أنظمة سياسية تحاكي النمط الأمريكي.

خامساً: الجانب العسكري والأمني: من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية والأمنية التي تعقدها أمريكا مع الدول الصغيرة ومن خلال حلف الأطلسي.

وطبقت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة حرق المراحل في عولمة ثقافتها واتبعت طريق القوة الناعمة حيناً والقوة الخشنة المباشرة حيناً آخر وهو ما دعا الرئيس الأمريكي الأسبق بيل

كلنتون إلى أن يقول: إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى صورتنا. وتمت ترجمة هذا الالتزام المقدس بنقل القيم الأمريكية وهي من صميم الثقافة كما لا يخفى إلى المجتمعات البشرية عبر وسائل متعددة.

ولا تختلف العولمة كظاهرة تاريخية عن بقية الظواهر الاجتماعية في كونها تحوي على وجوه وإفرازات إيجابية وأخرى سلبية، فالوجه الإيجابي يتمثل بانتشار الأنترنت وأجهزة الاتصالات، والأقمار الصناعية، وأجهزة الحاسوب وغيرها، وما وفرته من حرية انتقال رأس المال إلى أي مكان في العالم، وانتشار العلوم المتقدمة، ومحاولة النهوض السياسي لدول العالم الثالث ونشر الديمقراطية، وحقوق الإنسان. أما الوجه السلبي فيتمثل بفقدان السيادة الوطنية للدول والتعدي على هويتها الثقافية مما يتيح انتشار الطغيان العالمي والسيطرة على البلدان الضعيفة، وتعميق الفجوة بين الفقراء والأغنياء وسريان الظلم والاضطهاد والتحكم بمقدرات الشعوب. ولابد من الإشارة إلى ضعف القرارات المركزية للدولة وتراجع استقلالية الحكومات فقد أصبحت صناعة القرار وتفسيره في العولمة عملاً جماعياً فضفاضاً. ويكون للمنظمات العالمية وللشركات

متعددة الجنسيات وللمنظمات غير الحكومية وللإدارات الفرعية تأثير كبير على حساب الدولة ومؤسساتها المركزية.

وأصبحت دول العالم وشعوبه مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد العالمي، وبدأ تأثير النمو الذي تشهده البلدان المتطورة صناعياً واضحا في اغلب بلدان العالم وبشكل سريع مما أنتج أوضاعا أكثر تعقيدا مما كان سائداً في القرون السابقة.

العراق في صميم العولمة

ظل العراق لفترة طويلة من الزمن بعيداً عن المتغيرات والتطورات الدولية بسبب الانغلاق الذي فرضته السلطات الحاكمة لعدة عقود، مما أتاح له الابتعاد النسبي عن العولمة وتأثيراتها المختلفة، إلا أن عدة متغيرات حصلت أدت إلى كسر طوق الانعزال الدولي وفتحت باب العراق على مصراعيه أمام مشاريع العولمة الأمريكية. وتمثلت هذه المتغيرات بما يلي:

المتغير الدولي:

بعد نهاية الحرب الباردة قررت أمريكا المضي قدماً بتوسيع حضورها العالمي وبسط سيطرتها على العالم، وأهم مشروع لها وفقاً لاستراتيجية العولمة هو ما يسمى بمشروع الشرق الأوسط

الكبير الذي تم طرحه بشكل واضح بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١ في مفاوضات (كانت هي مدخل) التسوية بين العرب وإسرائيل. إن الرؤية الأمريكية نحو العراق أخذت منحى جديداً في عهد الرئيس جورج دبليو بوش مصحوباً بالمحافظين الجدد الذين بشروا حتى قبل توليهم الأمور بقرن أمريكي جديد تكون فيه السيطرة المطلقة لقوة عظمى واحدة فوق الجميع وهي الولايات المتحدة، وانتهجوا سياسة متشددة تجاه بعض الأنظمة التي صنفوها كداعم للإرهاب ومنها النظام العراقي السابق إلى جانب نظام طالبان وشنت على إثر ذلك حملة دولية بحجة مكافحة الإرهاب. وكان ذلك بداية للتواجد العسكري الأمريكي على أرض العراق واحتلال منابع ثروته النفطية الذي بلغ أوجه من خلال الحملة العسكرية في آذار ٢٠٠٣م. كل ذلك دفع الولايات المتحدة الأمريكية لجعل العراق بوابة التغيير للعالم الجديد.

المتغير الحركي المتمثل بالإرهاب:

إن تنامي ظاهرة الأصولية الإسلامية التكفيرية، المنحرفة في تطبيقاتها وبنظرتها السلبية للواقع وتعاطيها المتشدد مع الأحداث أدى إلى ظهور ما يسمى بـ (الإرهاب) الذي أربك العالم وأحدث تغييرات واسعة في السياسة الدولية. فقد

أصبح الجميع معرّضاً لهذا الخطر الداهم الذي نحا منحى جديداً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وأخذت الأحداث بالتسارع، والإرهاب يتحدى أغلب التوجهات والقوى العالمية عابراً للقارات ومتخطياً العوارض الجغرافية والدولية، واستحدث منظومة خاصة به، كان العراق من أكبر ضحاياه وأكثر المتضررين منه. مما أدى إلى فتح الحدود العراقية أمام موجات بشرية همجية خلّفت الدمار في كل مكان وصلت إليه، وجعلت العراق يستنهض قواه الكامنة ويستعين بأصدقائه في العالم لمواجهة هذا التحدي الكبير.

المتغير الداخلي:

الأحداث التي جرت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ اقترنت بمتغيرات عديدة القت بظلالها على المجتمع العراقي إذ شهدت تسارعاً كبيراً لتنفيذ الاستراتيجية الأمريكية التي تهدف إلى جعل المبدأ الرأسمالي الديمقراطي مبدأ لشعوب العالم كافة كونه يحفظ مصالحها ويضمن هيمنتها على العالم لأمد طويل، وهو طريق الوصول إلى الغاية المنشودة بإقامة إمبراطورية أمريكا العالمية، وهو أحد أهداف العولمة. وعملت به بكل قوة في العراق لغرض دمجه بالمنظومة العالمية من خلال تطبيق سياسة الفوضى الخلاقة التي أدخلته في دوامة صراع

واحتقان طائفي وعرقي وأحدثت هشاشة وضعف في الأواصر الاجتماعية كادت أن تفضي إلى تقسيمه أو على أقل تقدير إضعاف وحدته الوطنية والاجتماعية، وربما ستبقى تأثيراتها وارتداداتها واضحة إلى عقود من الزمن. ولا ينفك الجانب الثقافي والقيمي والمبدئي من هذه الاستراتيجية الأمريكية عن مفاهيم القوة وتجبير نتائج الحروب والغزو لصالح استراتيجية العولمة ومبدأ الرأسمالية وما يناسبها من الديمقراطية والمفاهيم الليبرالية وتطبيقها بشكل تدريجي، وبذلت الولايات المتحدة الأمريكية جهوداً مكثفة وسخّرت قواها الناعمة منذ اللحظات الأولى التي وطأت بها أرض العراق، بل وحتى قبل ذلك عندما هيأت منظمات وشخصيات ووسائل عديدة وأعدت برامج مختلفة رصدت لها ميزانيات ضخمة من أجل اجتذاب المجتمع العراقي بشكل مميز.

وكان لهذه المتغيرات الثلاث (المتغير الدولي، والمتغير الحركي، والمتغير الداخلي) تأثير كبير في كسر طوق الانعزال الدولي للعراق وفتح أبوابه أمام مشاريع العولمة الأمريكية وقواها الناعمة الجاذبة لشرائح المجتمع المتنوعة وخاصة فئة الشباب، مما وضع المجتمع العراقي على أعتاب حقبة جديدة، من المتوقع أن تؤدي إلى تغيرات اجتماعية وسلوكية متعددة ومتنوعة.

القوة الناعمة

استخدم مصطلح القوة الناعمة في الكتابات الأكاديمية ترجمة مباشرة للمصطلح Soft Power لكي يقابل المصطلح Hard Power، والتي تعني القوة الصلبة أو الخشنة أو القوة العسكرية، ويأتي استخدام هذين المصطلحين كمعادلة موضوعية للمصطلحين Hardware وSoftware في الحاسوب أو الكمبيوتر، ولكن بالنظر إلى مضامينها وسياق استخدامها في الكتابات الأكاديمية فإن واقع الحال غير ذلك، فاستخدام لفظ القوة Power في مجال القوة الناعمة ليقابل مصطلح القوة العسكرية، فإنه تسوده الكثير من المحاذير، أبرزها أن لفظ القوة يوحي إلى الإجبار والقسر والإكراه، في حين أن وسائل تحقيق القوة الناعمة لا تتضمن القسر والإكراه بقدر ما تتضمن الوسائل الفكرية والثقافية والسياسية.

والمصطلح وإن كانت بعض أدواته قد استخدمت قديماً تحت مسميات عديدة مثل الدبلوماسية، الغزو الثقافي، الإقناع، والتفاوض وغيرها، إلا أن أول من استخدم لفظ القوة الناعمة Soft Power هو جوزيف ناي الذي شغل منصب مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية حتى عام ١٩٩٥م، وحظي هذا المصطلح بانتشار واسع بين

الكتّاب والمفكرين داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

وصاغ جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة في كتابه وثبة نحو القيادة Bound to Leadership الذي أصدره عام ١٩٩٠م، ثم عاود استخدامه في كتابه مفارقة القوة الأمريكية Paradox of American Power the عام ٢٠٠٢م ثم في كتابه الذي أصدره عام ٢٠٠٤ م القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. وعرّف جوزيف ناي القوة عموماً بأنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء.

أما القوة الناعمة فقد عرّفها بالقدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإرغام أو دفع الأموال. وتنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما، ومثله السياسية، وسياساته، فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين، تتسع قوتنا الناعمة. وترتكز هذه القوة على قدرة جذب الآخرين والتحكم بتفصيلاتهم.

وطرح صموئيل هنتنكتون تعريفاً للقوة الناعمة أو كما يسميها (القوة اللينة) بأنها قدرة الدولة على حمل الدولة الأخرى أن ترغب فيما تريد منها عمله من خلال اللجوء إلى الثقافة

والإيديولوجيا. ثم طرح السؤال الاتـي: مـا الـذي يجعل الثقافـة والإيديولوجيا جذابـة؟ فيجيب عن سؤاله بأنـها تصبح جذابـة عندما تكون نافذة ومتجذرة ويظهر نجاحها المـادي.

والتفوق فـي القوة الاقتصاديـة والعسكرية الجافـة ينتـج ثقـة بالنفس، أما التدهور في هاتين القوتين فيؤدي إلى الشك في الذات، ويخلق أزمـة هويـة، ممـا يعنـي أن تحقق القوة اللينـة يرتكز على أساس القوة الجافة، وبالتالي فان نشر القيم وجذب الحضـارات والثقافـات الأخرى نحوها يتطلب وجود قوة جافـة تكون هـي الأسـاس فـي ذلك.

ومنطلق الصراع في فكر هنتنكتون واضح التأثير على طرحه وتناولـه لمفهوم القوة الناعمـة (اللينـة). فيمـا تنطلق الباحثـة آنـا سيمونز أستاذة مادة التحليل الدفاعي في كليـة الدراسات العليا للبحرية الأميركية NPS في تناولها للقوة الناعمة من تصنيفها علـى أنـها تمثل الجيل والنمط الرابـع من حروب المستقبل، مشيرة إلـى اختـلاف موازين الحروب العسكرية التقليديـة تبعـاً لتبدل نمطيتهـا، وأن القوة الناعمـة تستهدف السيطرة علـى الناس من خلال الدبلوماسية العامة والاتصالات الاستراتيجية وعمليات المعلومات والتلاعب بالمفاهيم والمشـاعر.

وتبين من خلال دراسة هذه التعريفات أن تعريف القوة الناعمة من وجهة النظر الأمريكية لم يصل إلى صورته النهائية. وترتكز القوة الناعمة على تشكيل تفصيلات الآخرين والتأثير على سلوكهم بهدف الوصول إلى سلب إرادتهم. وتعتمد القوة الناعمة على وجود متلقّين مستعدين لتقبّل تأثيرها عليهم. ومن الأهداف الصريحة للقوة الناعمة (الإذعان) بوساطة الجذب. وموارد القوة الناعمة: الثقافة في عناصرها الجاذبة للآخرين، والقيم السياسية عندما تحقق النجاح عند تطبيقها، والسياسة الخارجية عندما تحقق تأثيراً على الآخرين. واستخدم جوزيف ناي مفهوم القوة الناعمة في مقابل مفهوم القوة الصلبة، واستخدم صموئيل هنتنكتون مفهوم القوة اللينة في مقابل القوة الجافة. وحاول المخططون الاستراتيجيون في أمريكا تسويق المفهوم على انه يتضمن اللطافة والنعومة بعيداً عن العنف والإكراه، وحاولوا إضافة الشرعية للمفهوم من خلال الإشارة بأن القوة الناعمة لمصلحة الطرفين وبتوافقهما.

ويبني جين لي Geun Lee تصوره للقوة الناعمة بالاعتماد على مصادرها الرمزية والفكرية في خلق التفضيلات والصور الذهنية للذات التي تؤدي إلى تغيرات سلوكية في أفعال الآخرين. في حين يرى الباحث العراقي إياد خلف الكعود بان

القوة الناعمة تعني قدرة الدولة على استخدام الوسائل غير العسكرية في تحقيق أهدافها ومصالحها، ومن أهم هذه الأدوات والوسائل، الإعلامية والثقافية والسياسية للوصول إلى مرحلة التنفيذ لهذه الأهداف من خلال التأثير بالترغيب والإغراء.

وقدّم مسفر بن ظافر القحطاني تعريفه للقوة الناعمة بأنها القدرة على التأثير وجاذبية الأطراف المعنية إلى المسار الذي يخدم مصالح الدولة وكيانها باستخدام الموارد المادية والمعنوية بعيداً عن الإرغام والتهديد.

وتبين من دراسة هذه التعريفات أن (جين لي) يشير في تعريفه إلى التأثير على الطرف المستهدف بتحديد أولوياته وتفضيلاته وتغيير نظرته لذاته، وهذا يدل على الاهتمام بالعامل النفسي وممارسة البرمجة لتغيير السلوك. ومصادر القوة الناعمة بحسب (جين لي) معنوية وليس مادية. ويحدد الباحث خلف عمر الكعود أن الترغيب والإغراء هما طريقة الدولة في القوة الناعمة للتأثير على الجهة المستهدفة. ولم يحدد الباحث الكعود في تعريفه طبيعة الأهداف للقوة الناعمة. ويشير الباحث مسفر القحطاني في تعريفه أن جاذبية الطرف الآخر تكون إلى المسار الذي يخدم مصالح الدولة ولم يشترط أن يكون الانجذاب إلى قيم الدولة. ولم يستبعد الباحثان الكعود

والقحطانـي الوسيلة الماليـة أو الاقتصاديـة للقـوة الناعمـة.

وعند مراجعة وجهة النظر الأمريكية وغير الأمريكيـة، يتضـح أنـه علـى الرغم من تباين وجهات نظر الباحثين إلا أن الصـورة العامـة التـي توضحـت عن المفهوم تتضمن أن القوة الناعمـة تتم بالجذب والاستمالة التدريجيـة نحـو المسار المطلوب. وليس لـهـا إطـار محدود كونـهـا تشتمل علـى جميـع الشؤون النفسيـة والعقليـة والاجتماعيـة (القيم والأفكار والأخـلاق والفنون والثقافة النخبويـة والشـعبية.. الـخ) لإحـداث التغييـر بالسـلوك والـهويـة الثقافيـة والحضاريـة. وطبيعـة القوة الناعمـة تحتـاج إلـى زمن طويل لبلوغ الـهدف وهـذا يتطلـب التخطيـط والعمل الـدؤوب والصبـر علـى النتائج. وأغلـب وسـائلها غيـر منظـورة أو غيـر واضحـة.

وبنـاءً علـى ذلـك يمكننـي تقديم التعريـف النظـري الآتـي للقوة الناعمـة: **القدرة التـي تمتلكهـا دولـة أو مجموعـة، بـهدف إحداث تأثيـر فـي سـلوك واتجاهـات مجتمـع محـدد، لتغييـر أو تعزيـز نسيجه الثقافـي والقيمـي والحضـاري، عبـر جذبـه أو استمالته نحـو مسـار محـدد بشـكل تدريجـي ومخطـط لـه، وتكـون ذات طبيعـة لا عنفيـة ولا تتضمـن (القـدرة علـى الإرغـام)[١]، وقـد**

[١]. تم استثناء (القدرة على الإرغام) كونها تتضمن الخشونة في بعض وسائلها، ولأنها تمثل قوة ثالثـة تقـع بين القوة الناعمـة والقوة الصلبـة، بحسـب التعريـف الـذي طرحـه (ديفيد س. غومبرت وهانـس بيننديك).

تتجلى بشكل ظاهر أو متواري.

وتتمثل أركان التعريف في القدرة، وهي مجموع الطاقات والموارد التي تمتلكها الدولة أو المجموعة، والتي تجعلها تتحرك في المسرح السياسي والاجتماعي بهدف تحقيق المصالح القومية لها. والركن المؤسساتي، فالقوة الناعمة عمل جماعي مؤسساتي لا يتم بقدرات فردية، كونه يعتمد على قدرات وإمكانيات متعددة ويتطلب إدارة عليا تمتلك الصلاحيات اللازمة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب. والتأثير الناتج من عمل القوة الناعمة والمتمثل بالتغير في سلوك وتوجهات وقيم الأطراف المستهدفة. ونمط القوة، إذ تعتمد القوة الناعمة على الجذب والاستمالة ولا تتضمن الخشونة أو العنف أو الإكراه، كما لا تشتمل على وسائل (القدرة على الإرغام).

مصادر ووسائل القوة الناعمة

تسعى الدول المالكة لمصادر القوة الناعمة إلى توظيفها لتحقيق سياستها الداخلية والخارجية وصولاً إلى الأهداف المطلوب تحقيقها. وعندما نبحث عن الوسائل فإننا لابد أن ننطلق من مصادر القوة الناعمة لنحدد الطرائق والوسائل اللازمة والمتوفر

من اجل توظيفها في ترصين الوضع الداخلي للبلاد، وفي السياسة الخارجية والتعاملات مع البلدان والمجتمعات الأخرى، وكما ذكرنا سابقاً فان جوزيف ناي حدد مصادر القوة الناعمة بالثقافة والقيم السياسية والسياسة الخارجية.

فيما حدد الباحث الصيني هونج هوا مين مصادر القوة الناعمة بخمسة موارد، هي الجاذبية الثقافية، والقيم السياسية، والأنموذج التنموي الاقتصادي، والمؤسسات الدولية، والصورة الدولية. إذ أضاف مصدرين على ما طرحه جوزيف ناي هما الأنموذج التنموي الاقتصادي والمؤسسات الدولية.

وبناءً على ما تقدم يمكن أن نوضّح مصادر القوة الناعمة بالقيم التي تحملها الجهة الفاعلة والمؤثرة، بما فيها الدين. وتميّز الأنموذج الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي. والدبلوماسية المتمثلة بالسياسات والعلاقات الخارجية وقدرة المؤسسات الدولية على تسويق الأنموذج بالانفتاح والتأثير والاستقطاب، وتحصيل الجذب واستمالة الجهة المستهدفة.

وتعد هذه المصادر بمثابة القدرة الكامنة والمعين والرافد للقوة الناعمة، ولكي تتحول إلى قوة فاعلة تحتاج إلى وسائل وأدوات لتوظيفها وتفعيلها، ويكون تحديدها وفقاً لمرتكزات

هي استخدام الأساليب الأقل كلفة قياساً إلى تكلفة الأساليب العسكرية والأمنية والإرغام. واعتماد الطرائق التي تستدرج الآخرين وتستميلهم بأقل ما يمكن من المقاومة، وبدون عدوانية أو استفزاز. واستخدام الوسائل التي يكون ظاهرها إيجابياً وبعيداً عن الأساليب الصدامية. واستغلال مشاكل الآخرين، ومعاناتهم، أو القيام باصطناع المعاناة لاستخدامها كمداخل يتم النفوذ من خلالها. ولا يستوجب الحضور في أرض الخصم أو الجهة المستهدفة، ويمكن في أغلب الأحيان التحكم عن بعد. وانتهاج طريقة الإغواء في الجذب والاستمالة، من دون أن تظهر للعيان قدر الإمكان.

ويمكن إجمال الأدوات والوسائل بحسب المحددات والمرتكزات سالفة الذكر، وبناءً على دراسة آراء المفكرين ودراستنا للواقع، بالوسائل الإعلامية، المتمثلة بالقنوات والشبكات الفضائية التي تبث الأفلام والبرامج الموجهة، والإذاعات المحلية المعدة لهذا الغرض. والأنترنت، عبر محركات البحث الدولية ووسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات الموجهة والمخصصة لأغراض وأهداف محددة. والهواتف الذكية. ودور النشر الناشطة في طباعة الكتب النوعية الهادفة وترجمتها إلى اللغات العالمية والمحلية المختلفة، والصحف والمجلات واسعة الانتشار.

والدعاية والرموز، كأدوات اتصالية، تستخدم لمساندة الفعل السياسي الخارجي للدولة تحقيقاً لأهداف يتطلع إلى إنجازها صنّاع القرار فيها، ويتحدد الغرض الأساسي من استخدام هذه الوسيلة بتهيئة المناخ الفكري والنفسي للبيئة الخارجية، وخلق قناعات مسبقة. والسخرية، ومن بين الأدوات الإعلامية المؤثرة في مجال الحرب الناعمة أسلوب السخرية الموجهة. والأدوات والوسائل السياسية، والدبلوماسية، فمن أهم أهداف القوة الناعمة القدرة على وضع برنامج سياسي يرتب الأولويات بالنسبة للآخرين، وتكون واسعة ومتنوعة لتستوعب الجهة المستهدفة من جوانب متعددة وتجعلها تنجذب وتميل نحو الهدف المرسوم. وحملات التبشير والدعوة إلى الأديان.

ومنظمات المجتمع المدني التي تتبنى منهجاً متوازياً مع توجهات الدولة ومؤسساتها المخصصة لعمل القوة الناعمة.

والشخصيات القيادية التي تتمتع بكاريزما مؤثرة وجاذبة، والنخب السياسية والثقافية والفنية والاجتماعية والعلمية.

والبرامج الموجهة ذات الطبيعة الفنية والثقافية العامة أو المخصصة، ومنها برامج الثقافة الترفيهية. والبعثات العلمية والمنح الدراسية، والدراسة والتعليم عبر الأنترنت. والرحلات

العلمية والبرامج السياحية، وبضمنها السياحة الدينية. والموضات والأزياء والملابس، والمسابقات العالمية. وماركات المطاعم العالمية والأكلات والمشروبات المميزة. والمعونات والبرامج ذات الطبيعة الإنسانية التي تدخل في سياق مخطط استراتيجي محدد الأهداف.

آليات القوة الناعمة الأمريكية ووسائلها

أفرزت التطورات السياسية التي شهدتها البيئة الدولية حقيقة مفادها، أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تكون فاعلة ومستمرة بالسيطرة والنفوذ على أنساق النظام الدولي عبر القوة العسكرية فقط، وإنما عليها أن تقوم بتدابير وأليات جديدة وغير نمطية تدعم وجودها وسيطرتها، لذلك سعت إلى تعظيم دور القوة الناعمة في تعزيز القدرات الاستراتيجية لها ودعمها، وهذا التعظيم للقدرات ليس وليد اللحظة بل نتيجة تراكم مؤشرات الدور العالمي الذي تضطلع به الولايات المتحدة، فضلا عن المقومات التي تمتلكها من ثقافة وقيم سياسية وسياسة خارجية وأنموذج اقتصادي فضلا عن وجود الشخصيات القيادية والنخبوية التي تتمتع بخبرة عالية وقدرة كبيرة في إدارة الحكم والأشراف على المنظومة العالمية المترامية الأطراف، مما

مكنها من أداء هذا الدور الفعال والشامل.

ويتمتع توظيف القوة الناعمة في الاستراتيجية الأمريكية بالتراكم الزمني والنوعي، وتم توظيفه في حقب مختلفة، ابتداءً من الحرب الباردة وما لعبته الاستراتيجية الأمريكية تجاه الاتحاد السوفياتي السابق عبر استخدام القوة الناعمة المستندة إلى وسائل الإعلام وأدوات الدبلوماسية العامة، فضلا عن المراتب العليا التي احتلتها في مجال التعليم والأنترنت والحاسوب وقبول المهاجرين والعمالة، بالإضافة إلى ثقافة المجتمع الأميركي التي تعد عنصراً جذاباً وأساسيا وأحد اهم العناصر المشكلة للقوة الناعمة الأميركية. هذا كله ساعدها على أن تؤثر في الآخرين وتعظم من إمكانياتها على المستوى الدولي وتكون قادرة على تحقيق أهدافها دون اللجوء إلى الإكراه في كثير من الأحيان.

ونتيجة لذلك فقد امتلكت الولايات المتحدة الأميركية قوة ناعمة مؤثرة دولياً بصورة كبيرة جداً، إذ تجسد القوة الناعمة الأميركية جاذبية البلد، والتي تنشأ من تعزيز القيم والمؤسسات الأميركية وأضعاف موارد منافسيها وأعدائها. وتوسيع مساحة وجاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأميركية وتقليص نفوذ منافسيها وأعدائها. وتحسين جاذبية أميركا

وصورتها وتثبيت شرعية سياساتها الخارجية، ومصداقية تعاملاتها وسلوكياتها الدولية وضرب سياسات أعدائها.

وتوافرت لدى الولايات المتحدة الأمريكية أدوات متعددة ومتنوعة مما سهل عملية النفوذ إلى المجتمعات الأخرى في مناطق شاسعة من العالم وبزمن قصير نسبياً، وتمثلت بمصانع هوليود للإنتاج الإعلامي والسينمائي، والجامعات والمؤسسات التعليمية، وبرامج التبادل الثقافي والمؤتمرات الدولية التي ترعاها وتشارك في تنظيمها الولايات المتحدة. بالإضافة إلى وكالات التنمية والمساعدات الدولية الأمريكية والأممية التابعة لها. والوافدين الأجانب إلى الولايات المتحدة من المهاجرين ورجال الأعمال. والمواقع المنتشرة عبر الأنترنت. والشركات الاقتصادية العابرة للقارات، والرموز والعلامات التجارية الاستهلاكية مثل كوكا كولا وماكدونالدز وغير ذلك. وبرامج التدريب والتعاون العسكري لقادة وضباط الجيوش الأجنبية، بالإضافة إلى مراكز البحوث والدراسات ومراكز التفكير التي أنشأها ذوو الخبرة والتميز العلمي والفكري من النخب الفاعلة التي ساهمت بشكل كبير في تطوير العمل النخبوي وصناعة القرار وفي استقطاب المفكرين والعلماء من جميع أنحاء العالم.

وأنتجت البرامج والفعاليات الأمريكية عدداً من الأشخاص

المميزين الذين درسوا وتأثروا بالقيم والثقافة التي تعلموها في أمريكا وتكفلوا بنقلها إلى مجتمعاتهم المختلفة إذ تشير تقارير رسمية إلى ما يزيد عن ٢٠٠ من رؤساء الدول في العالم الحاليين والسابقين، وما يقرب من ١٥٠٠ من الوزراء أو من هم بمستوياتهم الوظيفية، وعدد كبير من القادة والشخصيات البارزة والمميزة في القطاعين العام والخاص في بلدان مختلفة، كانوا قد شاركوا في برامج التبادل لحكومة الولايات المتحدة على مدى العقود الخمسة الماضية، وساهموا بالترويج ونقل نمط الحياة الأمريكية إلى بلدانهم.

وفيما يخص العلاقة مع العراق ومحاولة التأثير عليه وجذبه نحوها باستخدام قواها الناعمة، فقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تشكيل حالة من التحالف السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني مع العراق على مستويات مختلفة لمرحلة ما بعد انسحاب القوات الأمريكية عام ٢٠١١، لاسيما أن العراق من وجهة النظر الأمريكية يعد قوة ذات ثقل سياسي يصعب تجاوزه ضمن مديات إقليم الشرق الأوسط، خاصة اذا ما أعيد تأهيل دوره وضبط سلوك نظامه السياسي في أطار علاقات التعاون أو معادلة التأثير الأمريكي مما سيجعل حلقة حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في الإقليم مكتملة من

الناحية الجيوستراتيجية، الأمر الذي يعزز المصالح والخيارات الاستراتيجية المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولاسيما في العراق من حيث صياغة ترتيبات أو تفاهمات لتشكيل أسس العلاقة ما بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية. وبناءً على ذلك فقد استخدمت الولايات المتحدة أدوات قوتها الناعمة في العراق منذ الأيام الأولى للاحتلال عام ٢٠٠٣، بهدف التأثير على المجتمع العراقي بشكل عام وخصوصاً فئة الشباب.

ومن أهم الوسائل المستخدمة لهذا الغرض منظمات المجتمع المدني التي نفذت عدة برامج تحمل عناوين ثقافية وتنموية وتأهيلية، وبتمويل من جهات أمريكية مختلفة. والزمالات والمنح الدراسية الأمريكية المقدمة للطلبة والباحثين العراقيين. والإعلام والقنوات الفضائية والإذاعية الموجهة. والمواقع الإلكترونية ومحركات البحث العالمية الموجهة ووسائل التواصل الاجتماعي عبر شبكة الأنترنت. والهواتف الذكية المزودة بتطبيقات مجانية وشبه مجانية والتي تتيح التواصل في أي زمان ومكان. والبرامج التدريبية للمختصين في مجالات متعددة. والمؤتمرات وورش العمل، المختلفة التوجهات التي شارك بها مستويات نخبوية وطلابية وشبابية. والعلامات

التجارية للمطاعم والملابس والمواد الاستهلاكية. وفتح باب الهجرة لشرائح اجتماعية مختلفة. والعديد من العراقيين المتأثرين بالقيم الأمريكية الذين ساهموا بالترويج لنموذجها الثقافي.

قوة الإرغام

أصدرت مؤسسة راند RAND Corporation البحثية الشهيرة أواخر عام ٢٠١٦ والتي تقدم العديد من الدراسات لمصلحة المؤسسة العسكرية الأمريكية، دراسة بعنوان (القدرة على الإرغام: مواجهة الأعداء بدون حرب) إذ عرّفت قوة الإرغام وصنفت أنواعها، وكيفية استثمارها والتفوق على الأعداء المحتملين في مضمار الخيارات غير العسكرية، كما بحثت في خيارات تتعدى القوة الناعمة ولا تصل إلى استخدام القوة الخشنة لتحقيق الأهداف والغايات، وحماية المصالح الأمريكية، وهي تسعى إلى إيجاد بدائل متنوعة لتضمينها في الاستراتيجية الأمريكية. وتقصد بقوة الإرغام هي القدرة على استخدام الوسائل غير العسكرية للضغط على الدول المعادية لحملها على فعل الأمور التي ما كانت لترضى بها في ظروف أخرى. وأكدت أنها تركز على التهديد بصورة إرغاميه غير عسكرية، إذ يتم استخدام وسائل سياسية واقتصادية ومالية والتلويح باستخدام القوة الخشنة أو مساندة الخصوم لخلق توترات ومصادمات داخلية بوسائل متعددة لخنق الدولة أو الجهة المستهدفة وكسر إرادتها وإجبارها على اتخاذ مواقف محددة تصب في صالح الجهات الفاعلة التي تصل إلى أهدافها وتحقق انتصاراتها

بمهارة دون اللجوء للحرب.

ورغم حداثة المفهوم إلا أنها تعد معادلة جديدة للقوة توسع من خيارات الدول في تحديد مساراتها الاستراتيجية وتنوع عمليات الفعل ورد الفعل لبلوغ الأهداف والنيل من الخصوم.

والإرغام في المعجم الجامع الإِخْضَاع والإِجْبَار، وأرغم اللهُ فلانًا أذلَّه، وأرغم فلاناً على فعل الشَّيء أي أجبره عليه.

ويمكننا تقديم التعريف الآتي لقوة الإرغام: **قدرة الضغط غير العسكرية وغير الناعمة التي تمتلكها دولة أو مجموعة، بهدف إخضاع أو إجبار دولة أو مجموعة محددة لحملها على فعل الأمور التي ما كانت لترضى بها في ظروفٍ أخرى.**

وهي أقرب للقوة الخشنة منها إلى الناعمة، وتمثل الدرجة ما قبل الأخيرة في سلّم القوة المتصاعد، وأهم وسائلها العقوبات والمضايقات الاقتصادية. والعقوبات السياسية، ودعم المعارضة السياسية. والتحكم بتوريدات الطاقة وتسويقها. والتحكم بمنابع المياه وممراتها ومستوياتها. والعمليات الإلكترونية. والعمليات الاستخباراتية. وتقييد حيازة الأسلحة المتقدمة، ومساندة خصوم العدو. والحملات الدعائية الضاغطة. والتضييق على التجارة

أو التحكم بها، والحظر على البضائع والأشخاص. والتضييق على تنقل رؤوس الأموال في البنوك والمصارف العالمية وتجميدها أو مصادرتها.

والقاسم المشترك بين هذه الأدوات والوسائل قدرتها على تخويف الخصوم ومحاصرتهم والعمل على إخضاعهم وكسر إرادتهم، وتبقى النتائج المتحققة منها ليست مضمونة وإنما تعتمد على براعة وحنكة من يقوم بعملية الإرغام وعلى مقاومة المستهدف أو ضعفه.

وتتميز قوة الإرغام بأنها أقل كلفة من الناحية المادية والبشرية إذا ما قورنت بالقوة الخشنة، كما أنها أسرع في الوصول إلى الأهداف المرسومة لها بالمقارنة مع الوقت الذي تتطلبه القوة الناعمة.

الحرب الناعمة:

جذب وحب في الملأ، ترويض وهدم في الخفاء.

إنها مفاهيم جميلة جذابة وعناوين براقة تثير الدهشة وتحرك الوجدان تستخدمها الحرب الناعمة لتمرير أجندتها التهديمية بلا ضجيج، ولا صوت مسموع، ولا قتل، ولا ترويع، ولا دموع، ولا تخالف القوانين، والأعراف الدولية، ولا ترى بالعين المجردة كونها تجري بالخفاء، ويخطط لها بمكر، ودهاء، وميدانها قلب الإنسان، وعقله، ونفسه بهدف استمالته وجذبه، وهي فن استخدام القوة الناعمة لتغيير السلوك، والرغبات، والتوجهات، والتأثير في المعتقدات، والقيم.

ويندرج مفهوم الحرب الناعمة بإطار المصطلحات المستحدثة التي دخلت ميدان الفكر السياسي، ومداولاته خلال السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، وترافق نشوؤه مع انتقال العلاقات الدولية إلى تاريخ جديد من التوترات، والمواجهات التي أفضت إلى تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار الدولي وسعي مفكريها الاستراتيجيين إلى صياغة نظريات تدخل في سياق تسويغ هيمنتها الأيديولوجية على العالم.

وتمثل الحرب الناعمة تحولاً في طبيعة الصراعات الدولية،

ومسارها، وهي حالة واقعية وتجري في مجالات متعددة، إلا أن التنظير لها لم يصل إلى مستوى النضج العلمي، وما زال الجدال حولها قائماً بين المنظرين والكتّاب. وطرح الأمريكيون كثيراً من الدراسات، والإصدارات المتخصصة التي أثارت إشكاليات حول مفهوم الحرب الناعمة إذ يعتقدون بأن الإيرانيين سوقوا هذا المفهوم بمهارة، وذكاء لتمرير الدعاية المضادة، وتقوية جبهتهم الداخلية.

ولم يكن مصطلح الحرب الناعمة مألوفا في الأذهان، على الأقل على المستوى الجماهيري في منطقة الشرق الأوسط حتى جرى تداوله على نطاق واسع بعد انتخابات الرئاسة الإيرانية عام ٢٠٠٩ لا سيما من المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية في إيران السيد علي الخامنئي.

وتعني كلمة الحرب في تداولها المألوف المبارزة، والقتال باستخدام الحراب، والسيوف، والبنادق، والقنابل، والمدافع، والطائرات بجميع صنوفها إذ تؤدي كل منها إلى موت، أو تدمير، أو شل تحركات العدو بغية إذلاله والسيطرة عليه، ثم تستكمل الحرب عادة بغنائم، ومكاسب يحصل عليها المنتصر من المنكسر.

وتعني الحرب في اللغة القتال، والنزال بين فئتين، وعكسها السلم كما عرفها معجم المعاني الجامع. وتشترك الحرب الناعمة مع الخشنة بالأهداف، ولكنها تختلف بالوسائل، والأدوات، وساحات النزال، واعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية بعيدة المدى لتطوير مصادر القوة الناعمة، وتعزيز قدراتها، وإمكاناتها التراكمية لضمان تفردها، وتفوقها العالمي في الحرب الناعمة، وتبلور هذا النوع من الحرب في الفكر الأمريكي عام ٢٠٠٦، وأقرّ رسميا في الكونغرس عام ٢٠٠٨، كما كشف عن بعض تفاصيلها الصحافي الأمريكي الشهير سيمور هرش. وعند الاطلاع على ما تسرّب من أرشيف المخابرات الأمريكية في موقع ويكيليكس يفهم ترابط الاستراتيجيات، والسياسات، وآليات التخطيط، والتحرك لدى الأجهزة، والأذرع التنفيذية للإدارة الأمريكية التي عهد إليها مباشرة الحرب الناعمة في الشرق الأوسط بشكل خاص. واتضح على ارض الواقع قدرة أمريكا على المناورة، والمرونة العالية بتنويع استخدام القوة، وتغيير تكتيك المواجهة مع الخصوم، وقدرتها على الابتكار، والتنقل من حرب إلى أخرى في ميادين متنوعة، وأماكن متعددة في العالم.

وتعتمد الحرب الناعمة منهج جديد لتغيير السلوك بواسطة

الجذب، واستغلال نقاط الضعف، والوهن عند الخصوم لتنفذ من خلالها، وتمارس عملية الاحتواء التدريجي للسيطرة على المرتكزات الأساسية للمجتمع.

ومضات عن الحرب الناعمة:

من وضع فكرة القوة الناعمة، وروّج لها نواب، ومساعدون لوزراء الدفاع، أو باحثون في مراكز الدراسات، والأبحاث المرتبطة بدوائر القرار الأميركي ممن عملوا في وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، وعليه فهم من خريجي المؤسسات العسكرية، والأمنية، والبحثية المرتبطة بالإدارة الأميركية، وليسوا من خريجي كليات الفنون الجميلة، أو العلوم الإنسانية.

ولابد من التفريق بين مفهومي القوة الناعمة، والحرب الناعمة، إذ يمكن استخدام المفهوم الأول في خدمة المجتمع، كما يمكن أن يستخدم ضده، بينما يشير المفهوم الثاني إلى استخدام القوة الناعمة للإضرار بالمجتمع المستهدف.

وتكمن خطورة الحرب الناعمة في تسللها الى النفوس وكسب القلوب والعقول, وتؤثر في السلوك والتوجهات وطبيعة الهوية الشخصية والأجتماعية, ومن ثم تقوم بتغيير القيم بشكل تدريجي بطيء, وتختلف عن نمط الحرب النفسية وأسلوبها,

والغزو الثقافي.

وبحسب نهج الحرب الناعمة المشار إليه آنفا فأنها ستكون مغايرة لما أطلق عليه بالحرب النفسية، والغزو الثقافي الذي يواجه قيم المجتمع المستهدف بطريقة مباشرة، وبشكل صدامي وأكثر وضوحاً.

وتستهدف الهوية الوطنية وتفكيك البنية الثقافية، ولا سيما في المجتمعات ذات النسيج الثقافي المتنوع، وتفعيل الاختلافات الفكرية، والدينية، والقومية، وتوظيفها في تفكيك المجتمع، وإضعافه.

وتعتمد توهين الأفراد والمجتمعات المستهدفة والتشكيك بقدرتهم على النهوض، لتستخدمهم فيما بعد لخدمة الهدف من هذه الحرب.

وتخلق صراعات متنامية بين الجيل المحافظ، والجيل المتأثر الذي يسعى لتقليد كل شيء، وعادة ما يبحث عن المظاهر، ويساير كل جديد.

وتستهدف سد النقص لحاجات حقيقية، أو مقبولة، ولكن بطرائق غير مناسبة، أي تطلق كلمة حق، يراد بها باطل.

الحرب النفسية:

يقصد بالحرب النفسية استخدام الوسائل المتاحة مهما كانت بهدف التأثير في الروح المعنوية، وفي سلوك الأفراد، والجماعات، وهي جزء من عمليات نفسية شاملة تستهدف التأثير في أفكار، واتجاهات، وسلوك الفرد، والمجتمع، وتترابط مع الأعمال العسكرية، وتمهد لها، وترافقها، وتتواصل بعد نهايتها. ويذكر ان المفكر العسكري الأمريكي لينار برجر اول من استخدم مصطلح الحرب النفسية بصورة صريحة عام ١٩٥٤م ومن يومها تلقف العالم هذا المصطلح، وزاد عليه، وأجرى له تفرعات، ووظف له دوائر متخصصة في سبيل دعاية توجه نحو عدو مع إجراءات أخرى اقتصادية، وسياسية، وثقافية لينتهي المطاف بعمل عسكري محدود او واسع.

وتبدو الحرب النفسية في الصراعات بين الدول من أكثر الحروب خطراً على الأمم، وتهديداً لها، لا سيما تلك التي تفتقر إلى الحصانة الداخلية، ومقوماتها، أي الحصانة الوطنية، والتماسك المجتمعي الذين يحولان دون انهيار الأمة إزاء ما تواجهه من ضغوطات هذه الحرب، وأساليبها الخبيثة. وتصل الحرب النفسية ذروتها أثناء الحروب، ولكنها تتواصل أيام

السلم كبديل عن الحروب الساخنة، أو استمراراً لها، أو تمهيدا لشن حرب من دولة على دولة، أو جزءً من صراع سياسي، وإيديولوجي قائم بين طرفين، أو أكثر.

وتلجأ الدول لهذا النمط من الحروب عندما تبدأ ببث الفتنة، والتفرقة، وإضعاف الروح المعنوية، والشك، واليأس لدى الشعوب، فيسهل التغلب عليها، والسيطرة على مقدراتها. وكانت الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية المجال الخصب لتطبيق نظريات الحرب النفسية للتحكم بإرادة الشعوب، والجيوش، وتحطيم معنوياتها، تمهيداً لتحطيم الجبهة الداخلية التي تقف خلف الجبهة العسكرية، فتحدث الهزيمة النفسية، فالانهيار أمام العدو.

وكان لألمانيا النازية باعٌ مشهود في الحرب النفسية إذ برع هتلر، ووزير دعايته غوبلز في هذا الميدان، وعملوا بجهود متظافرة لإظهار مظاهر القوة، والترويج للنازية من خلال خطب نارية، وأكاذيب متنوعة للزعيم النازي بهدف تحطيم قدرات الشعوب المعنوية، وزعزعة ثقتها بنفسها، وبث الخوف، والرعب بين الجماعات المناوئة. ويضاهي مفعول هذه الحرب، أو يفوق مفعول العمليات العسكرية إذ تنهار المقاومة العسكرية للجيوش بفعل عوامل متعددة منها الخوف، وضعف الثقة

بالقدرات على مواجهة جحافل النازية. ومارست الصهيونية نمط النازية في عدوانها على الفلسطينيين عند إعلان قيام الكيان الصهيوني، وبعد قيامه، وخلال حروبه التي شنها ضد الدول العربية.

ويمكن حصر مقومات الحرب النفسية، وأهدافها بمحاولة السيطرة على العقول، والأفكار كأساس للتأثير على الرأي العام، واستقطابه، والعمل على إثارة البلبلة في النفوس، وبث الشائعات، وإثارة الرعب، وإضعاف ثقة الشعوب بنفسها، وفي قياداتها لتحطم مقاومتها، ولتسهل السيطرة عليها، والعمل على تفكيك القيم، والعادات، والتقاليد السائدة في المجتمعات لتحطيم ترابط الشعوب تمهيداً للسيطرة عليهم، وإضعاف القيم الدينية، والقبلية السائد كونهما ركيزتين أساسيتين من ركائز تماسك الشعوب، واستغلال معاناة الشعوب بأزمات اقتصادية، واجتماعية، وتضخيم هذه المعاناة، وإظهار عجز الحكومات عن إيجاد الحلول الناجعة لها، وزرع الخلافات الطائفية، والأثنية، والحزبية لشغل الشعوب، وقياداتها في منازعات داخلية تمهد السبيل للغزو الفكري، والعسكري، واستغلال وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، ومسمياتها في بث الحرب النفسية، فالإعلام هو السلاح الأمضى في الحرب النفسية إذ ينفذ للعقول دون

عوائق تذكر لا سيما بعد تنامي وسائل التواصل الاجتماعي، وتحريف الحقائق، واستخدام أساليب التجهيل، والإلهاء، والكذب، والخداع، والتهويل، والتضخيم كأسلحة أثبتت فاعليتها في الحرب النفسية، والترويج ناشطين، وأدباء، ومثقفين ممن يملكون القدرة للتأثير في المشاعر، وإثارة التناقضات في المجتمعات، وتزيين الحياة الغربية بمختلف أشكالها وجعلها الملاذ الآمن للعيش الرغيد.

وتحولت الحرب النفسية في السنوات القليلة الماضية إلى مفهوم كبير يدعى بالعمليات النفسية، ولكن مازال الكثير، ومنهم وسائل الإعلام غير مستوعبة لأوجه الاختلاف بين العمليات النفسية، والحرب النفسية مما يساعد دون قصد في تحقيق أهدافها فتؤثر سلباً، أو إيجابا في المجتمع، فلو نظرنا لمفهوم العمليات النفسية نجده استخدام مخطط من دولة، أو مجموعة دول للدعاية، وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعات معادية، أو محايدة، أو صديقة للتأثير في عواطفها، وسلوكها، ومواقفها بطريقة تساعد على تحقيق السياسة المطلوبة، وأهدافها فيكون السعي لتحقيق سياسة، أو أفكار، أو قيم محددة هو الهدف مثل أقناع الرأي العام المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي أو تضليله عن حدث معين،

وعزل العدو عن أصدقاؤه، وكسب تأييد الحلفاء، والأصدقاء، واستهداف الجبهة الداخلية بإثارة الفتن، والنزاعات، وزعزعة ثقة الأفراد، والمجتمع، وافتعال الأزمات، ومحاولة النيل من ثقة الشعب بنظامه الاقتصادي، والاجتماعي، وإفقاده الثقة بقواته المسلحة بأساليب، وطرائق يمكن إيجازها في وسائل الإعلام المتنوعة.

وأهداف العمليات النفسية متنوعة تبدأ بما هو ظاهر، ويمكن ملاحظته لتصل لما هو باطن يصعب استيعابه إلا لمن هو متخصص، ومدرب، ولا تتحدد بتوقيت محدد إذ تستخدم في السلم، وعند التوترات السياسية، وعند الحروب، وبعدها، بينما يقتصر استخدام الحرب النفسية في أوقات التوتر، ونشوب الصراعات، وتنتهي بانتهاء الصراع المسلح.

الغزو الثقافي

يشهد العالم ثورة عارمة بمختلف المجالات يوماً بعد آخر لا سيما في استخدام التقنيات الحديثة، وتطبيقات الأنترنت مما جعل وسائل التصارع، والتزاحم في الأيديولوجيات عبر الفضاء بدلا من كونها على الأرض بعد أن ثبت جدوى هذه الوسائل، وتأثيراتها، وقلة خسائرها. ولا شك أن الطرف الأقوى بهذه المواجهات من يملك القوة، والمال، والرجال، بمعنى آخر من تتوافر له قوة إعلام، ومراكز أبحاث متخصصة، وأفكار يسعى لتمريرها، وتخطيط بعيد المدى ليغزو الآخر، ويغير من محتواه القيمي، والثقافي، والمجتمعي.

ويقصد بالغزو الثقافي مواجهة الآخر، ومحاولة القضاء عليه، وتغيير محتواه الثقافي، والقيمي، والمجتمعي بوسائل، وطرائق، وآليات غير مباشرة كالكلمة، والفكرة، والرأي، ونظريات تقانة السلوك الإنساني. ويسمى أحيانا بالغزو الفكري، ويشير إلى الجهود والممارسات التي يبذلها طرف بحق طرف آخر، او بحق أمم بغية السيطرة عليها بطريقة غير عسكرية، وهو أكثر خطورة من الغزو العسكري لانتهاجه السرية، والغموض في عمله، وهو داء فتاك ينهش في الأمم، ويفكك شخصيتها، ويخفي معالم الأصالة والقوة فيها، ويهدف بالدرجة الأولى إلى

الاستحواذ على العقل، فيتخذ أسلوباً خفياً مقبولاً بما يتماشى مع أهواء الإنسان. وتحتل قيم المجتمعات المرتبة الأولى في أهدافه إذ يسعى جاهدا لتشكيل قيم عالمية تحد من التباين بين المجتمعات، وتلغي الأصالة، وتحبذ المعاصرة وتؤكد عليها.

ونال العراق، وقيمه الأصيلة الحظ الأوفر ، فنلحظ أن كثيرا من القيم أصابها التصدع، وبعضها تفككت بفعل السيل العارم من الأفكار الوافدة، والضغوط بمختلف أشكالها، والفجوة المتزايدة بين العائلة وأبنائها تحت شعار الإزاحة الجيلية، ولا يخفى على المتخصص أن أمثال الشعوب، وقيمهم المتوارثة، والموروث النظري الرصين هو الأساس في تشكيل ثقافة المجتمعات، وعند التمحيص بنظريات السمات لمختلف علماء النفس الاجتماعي نجدهم اكدوا على السمات المصدرية، والسمات الثانوية، وعند مراجعة الإرث الحضاري العربي نجد أن السمات هي نفسها (الشيّم)، فالعربي صاحب شيمة، ويتفاخر بها، ويعتز بما لديه منها فهي أساس من أسس عروبته فكيف بالعراقي الذي تربى على مجموعة كبيرة من الشيّم التي شكلت شخصية أبيه، وأجداده ولكنه ولقدرة الغزو الثقافي وتنوع وسائله قد تغافل عن بعضها، وتماشى مع غيرها مع احتفاظه بالأصل منها كالقيم الروحية، والقيم القبلية فالدين فطري لدى المواطن

العراقي، والقبيلة أساس من أسس موروثه الثقافي وهو يقترب من هاتين القيمتين، ويبتعد بحسب قوة العائلة، وتقارب أبنائها، وما يتشاركون به من ممارسات وخير دليل أسوقه لتأكيد ما أقول نتائج التحليل الإحصائي للمجتمع العراقي.

وتأثير وسائل الإعلام المتنوعة، ووسائط التواصل الاجتماعي كبير في نقل المحتوى المراد تمريره فقدرة الوسائل المرئية على التأثير بحاسة البصر أكبر من قدرة الوسائل المسموعة على التأثير بحاسة السمع بما نسبته ٢٥ ضعفا إذ تشكل الصور ما نسبته ٨٣٪ من المعلومات المكتسبة مما جعل تأثير القنوات الفضائية أكبر من غيرها وهو ما جعل الحركات، والمنظمات، والدول يولونها اهتمامهم الأكبر، ويطورون قدراتها، ويحرصون على انتشارها بوسائل زهيدة الثمن إن لم تكن مجانية في سبيل تفكيك محتوى الأخر، وتشويه صورة الإسلام، وتعميق الفجوة بين مذاهبه، والتشكيك في أصل العقيدة الإسلامية، والتبشير بالنصرانية، ونشر الأفكار الوافدة التي تشجع الأنموذج الغربي، وتستحسنه، وخفض مستويات التعليم من خلال تجهيل الشعوب، وإشغالها بكل ما هو غير أصيل، ولا نافع، وإضعاف اللغة العربية، والترويج لأخلاق غريبة، وقيم عالمية غير منسجمة، وإشاعة الفاحشة، وتسهيل ارتكابها، وإظهار الغرائز الأساسية

وكأنها الأساس، والدعوة للجريمة بطرائق محببة.

والغزو الثقافي حقيقة ماثلة للعيان، لا يمكن طمسه ولا تجاهله، على الرغم من الأصوات التي تنكره، أو تحاول تسويغه وبداياته قديمة، واشتد فعله بعد الحروب الصليبية وهو خطر بدرجة كبيرة، ومتعاظمة لكون تأثيراته أكبر، وأعمق، وتكلفته أقل وأيسر.

والغزو الثقافي، والفكري، والاقتصادي من أهم سمات هيمنة الحضارة الحديثة التي كرسها الأنموذج الغربي ضمن مخطط عالمي تلعب الصهيونية الدور الحاسم في رسم أهدافه، والتكفل بتحقيقها.

والمؤلم أن ثقافة أجيالنا المعاصرة تتبع الغرب بكل شيء، وهو تكريس لثقافات غريبة، وافدة بعيدة عن روح المجتمع، ونحن بأمس الحاجة للبحث عن مخرج، وإلى إيجاد وسائل تمكن من مواجهة الغرب، وإلى رعاية الجيل لا تغريبه، وإلى تحقيق انتصارات معنوية، ومادية للحد من الهزائم، والتبعية، والتحول من الاستهلاك، إلى الإنتاج، وتعميق الوعي الثقافي بتربية وطنية تستلهم الموروث، وتتعاطى مع المعاصرة، وترميم العلاقة بين الفرد، وسياقه الاجتماعي، والدعوة إلى

ثقافة مجتمعية تؤسس لتغليب ثقافة المجتمع، وتشذيب قيمه، والانفتاح على الآخر بشكل واع، وإشاعة ثقافة الحوار، والبناء المؤسسي.

وموضوع الغزو الثقافي محير إذ ترى فئة من الناس أنه ليس كذلك، وتهون فئة أخرى من شأنه، ومن مخاطره، وفئة تدعو لتلاقح الثقافات، ويجدون بداً من مسايرة ثقافة قوية وافدة، لثقافة تتفكك، وتواجه بأسلحة غير مناسبة، ويعدون التلاقح الحضاري جزءً من التراث الإنساني، وتبادل الخبرات.

ويعني الغزو الثقافي لدى ابن خلدون أن الأمم تبدأ بالهزيمة من داخلها عندما تشرع في تقليد عدوها، وهو مفهوم متداخل في إطاره المعرفي مع مفاهيم أخرى ومنها مفهوم الاستقطاب، والهيمنة والذي أصبح نحو قطب واحد مهيمن في العالم، وهو الولايات المتحدة، وترافقه مع التقنية، والمعلوماتية، والاتصالات، وثورة العلم.

ومفهوم التبعية الذي ظهر في إطار الاقتصاد في ستينيات القرن المنصرم بسبب التخلف الذي اتسمت به بلدان العالم الثالث، واهميه النمو المتسارع للتنمية، ثم ما لبث أن امتد مفهوم التبعية إلى مجالات أخرى عند تحول العالم إلى قرية

كونيـة بفعل شـركات المـال العابـرة للقارات، والمعلوماتيـة.

ومفهوم التغريب والـذي يعنـي سيادة الغرب، أو الاقتداء بـه، أو الاغتراب، أي هوة بين الفرد، وواقعـه حين تغلف الـذات بمشـاعر الغربـة فيبتعد الفرد عن محيطـه الـذي ينتمـي إليـه، فينقطـع عن نفسـه، ويتجـه لمـا حولـه، ويتلقى تأثيـره من الآخـر المعجب بـه، والـذي يرنـو إليـه.

ومفهـوم التنميط إذ يعبـر الغزو الثقافـي بالتنميط الثقافـي الذي يقصد بـه إنتـاج نمط ثقافـي واحد علـى وفق إرادة الطـرف المهيمن عبر تقنيـة المعلوماتـي، والاتصـالات، ولا سيما الأقمـار الصناعيـة، وأخطـر مظاهـر التنميط شيوع الصـورة بـدلا عـن الكلمـة، وانتشـار الأقـراص الليزريـة، بديـلاً عـن الكتـاب، ممـا يضـع الجيل الجديد أمـام تقنيـات تضعـف الخيـال، والإبـداع، وتهـدر الوقـت، وطاقـات الفـرد، ومشـاعره، وأفكـاره.

ومفهـوم التغطيـة وهـو أسـلوب إعلامـي يسـتهدف التضليـل، وقلـب الحقائق، أو تزييف الوعـي، وتشـكيل العقـل بحسـب منطـق القـوي المرسـل، والضعيـف المسـتقبل، والفضـل لإدوار سـعيد فـي توضيـح هذا المفهوم فـي كتابـه تغطيـة الإسـلام، والصـادر باللغـة الإنكليزيـة عـام ١٩٨٢م عنـد إشـارته للتضليـل الإعلامـي،

والفكري الذي مارسته وسائل الإعلام الأمريكية للتغطية على الإسلام، والحكم عليه بالإرهاب.

ومفهوم العولمة بمعنى جعل نمط الحياة عالميا، وتوحيد الاستهلاك، ونقل الأموال، والتسويق، والمبادلات، والاتصال، ونقل الأشياء من نطاقها المحلي، إلى النطاق العالمي. وتؤثر العولمة بشكل سلبي في الطرف الأضعف ففي الاقتصاد تفتقر الدول النامية إلى الفعالية كونها مستهلك، ويتفاقم التأثير السلبي في مجالات العلم، والتقنية، والمعلوماتية، والاتصالات.

ولابد في العولمة من التمييز بين أمركة العالم، وبين كونها نظام عالمي ثقافي جديد يقوم على احترام مبادئ عقد التنمية الثقافية الذي أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٨٩م وهي مراعاة البعد الثقافي للتنمية، وتأكيد الهوية الثقافية وإثرائها، وتوسيع نطاق المشاركة في الحياة الثقافية، وتعزيز التعاون الثقافي الدولي.

السلوك الحضاري

لا يخلو البحث في مفهوم السلوك الحضاري من صعوبات لندرة توافر الدراسات التي تقدم تعريفاً واضحاً ومحدداً له، ولاشتماله على مفهومين طالما أختلف المختصون في تناولهما وتعريفهما، وقد تم تناولهما من مفكري علم التأريخ، وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجي، وعلم النفس، وغيرها من العلوم، ولضرورة تحديد تعريف يعتمده الباحث لغرض المحافظة على سياق المنهج العلمي والولوج في تفاصيل موضوع البحث والمواضيع المترابطة به سنتناول مفهوم الحضارة ثم السلوك، بعد ذلك سنقدم تعريفا نظريا بضوء ما نتوصل إليه من نتائج لاستكمال المتطلبات الأخرى.

الحضارة:

أطال المؤرخون والعلماء والباحثون في تعريف الحضارة ومجالاتها، وذهبوا في ذلك مذاهب متعددة، ومنهم من يفرِّق بين الحضارة والثقافة باعتبار الحضارة صورة النشاط المادي بينما الثقافة صورة النشاط الروحي والفكري، ومنهم من يجعل الحضارة كلمة جامعة تشمل صورة النشاطين المادي والثقافي معاً. والحضارة في اللغة وكما ورد في لسان العرب والمصباح

المنير الإقامة في الحَضَر، والحَضَر والحَضْرة والحاضرة والحضارة بفتح الحاء، وكسرها سكون الحضر، وهي خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لان أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، وحين تُذكر الحضارة في اللغة فيقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى.

أما المعنى الاصطلاحي للحضارة فكان عبد الرحمن بن خلدون أوّل من توسّع في الكلام عن الحضارة والتفريق بينها وبين البداوة إذ يرى أن الناس حين تخطَّوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنُّق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضُّر. ثمّ تزيد حالة الرفاه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة في التأنّق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومغالاة البيوت والصروح وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتهاء في الصنائع في الخروج من القوّة إلى الفعل إلى غايتها، فيتّخذون القصور والمنازل، ويُجرون فيها المياه ويعالون في صرحها، ويبالغون

في تنجيدها، ويختلقون في استجادة ما يتّخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان.

وأستمر تناول مفهوم الحضارة من المفكرين والمختصين في جميع الأزمنة، وورد في كتاب تاريخ وقواعد الحضارة تعريفاً لتونيز، وألفريد فيبر اللذان عرّفاها بطائفة من معارف فنية تُتخذ منهجاً، وممارسة عملية، أي مجموعة من الوسائل والطرق للتصرف إزاء الطبيعة.

واختلف علماء الاجتماع والمفكرون على مفهومي الحضارة والثقافة ويشمل هذا الاختلاف والتباين المفهوم الاصطلاحي، وكان الاختلاف بين المفهومين عند الألمان والفرنسيين إذ يرى الفرنسيون بأنه لا فرق بين المفهومين، إلا أن الألمان جادلوا بأن هناك اختلافاً بالمعنى والمفهوم بالرغم من الانتقال الحرفي لكلمة ثقافة من اللغة الفرنسية.

ووضع الألمان في القرن التاسع عشر تمييزاً واضحا بين الحضارة التي تتضمن الآلات والعوامل المادية وبين الثقافة التي تتضمن القيم والمثل والصفات الذهنية والفنية والأخلاقية الراقية في المجتمع. وظل هذا التمييز صفة ملازمة لنتاجات

الفكر الألماني ولم يوافقهم في ذلك إلا القليل من المفكرين. وفي ذلك يقول صموئيل هنتنجتون إن مفهوم الحضارة خارج ألمانيا كيان ثقافي. ووضع الألمان تفرقة صارمة بين الحضارة، والتي تضمنت المكننة والتقنية والعوامل المادية، والثقافة التي احتوت على القيم والمثاليات وخصائص عقلية وفنية وأخلاقية عليا للمجتمع. وسادت هذه التفرقة في الفكر الألماني ولكنها لم تحظ بالقبول في أماكن أخرى.

ونحا المفكر الإسلامي علي عزت بيجوفيتش منحى الفلاسفة الألمان في الفصل بين مفهومي الثقافة والحضارة، فيرى أن الثقافة تعني الفن الذي تتجسد به إنسانية الإنسان، وهي الخلق المستمر للذات، أما الحضارة فهي فن العمل وصناعة الأشياء بدقة وحرفية، وتغيير وجه العالم باستمرار. ويشير إلى ان الإنسان هو من يحمل الثقافة، أما الحضارة فيحملها المجتمع، والعلم والتكنولوجيا والمدن والدول تنتمي إلى الحضارة. وكل من الثقافة والحضارة ينتمي أحدهما للآخر، كما ينتمي عالم السماء إلى هذا العالم الدنيوي، أحدهما دراما والآخر طوبيا.

ويقرر بيجوفيتش بأن الثقافة والحضارة يسيران نحو أهدافهما بشكل منفصل، فالثقافة تسير بالإنسان مساراً دراميأ يبدأ من المرحلة التمهيدية لوجوده في الجنة، ثم تواكب وجوده على

الأرض، وتنتهي بيوم الحساب في الآخرة، وهي الوازع الأخلاقي للتاريخ. أما الحضارة فهي تاريخ الأدوات أو تاريخ الأشياء الذي ينتهي بالدخول في المجتمع الطبقي، وقصور الطاقة، شأنه في ذلك شأن بقية العالم المادي. ولهذين التاريخين العلاقة نفسها التي بين العبادة والأداة، وهي العلاقة نفسها التي بين الثقافة والحضارة.

وسعى عدد آخر من المفكرين إلى الجمع بين الأمرين، أما محاولة للتوفيق أو عن قناعة بأن النشاط المادي لابد أن يصدر عن منظومة فكرية ويكون ثمرة لنشاط ثقافي، كما أن مجرد النشاط الفكري الثقافي الذي لم يصدر عنه نشاط وإنتاج مادي لا يُمكن أن يطلق عليه حضارة، فكم وجد بشر من غير حضارة بينما لا يوجد بشر من غير فكر وثقافة. ومن أولئك مالك بن نبي الذي يرى بأن الحضارة مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تضبط العلاقة بين أفراد المجتمع وتدعوهم للتعاون والتكامل وتقديم المساعدة الضرورية لبعضهم. فيما يعرف حسين مؤنس الحضارة بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان، لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية.

ويذهب صموئيل هنتنجتون إلى أن كلا من الحضارة والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العام للإنسان، فالحضارة ثقافة كتبت بحروف كبيرة، والعلاقة بينهما متداخلة إذ إن كلاهما يتضمنان القيم، والمبادئ، والمؤسسات وأنماط التفكير والتي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية أولى. وينقل هنتنجتون عن شبلنجر قوله عن الحضارة بأنها المصير المحتوم للثقافة، فهي عصارة الشيء في حالة الكينونة يتبعه الشيء في حالة الصيرورة، والموضوع المشترك في التعريف بأي حضارة هي الثقافة. ويمكننا القول بأن الثقافة والحضارة، مفهومان متلازمان ومتداخلان ويكمل أحدهما الآخر، وهما من نتائج وعلامات التطور والتكامل الإنساني، وبهما يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات.

العناصر المؤثرة في بناء الحضارة:

الإنسان

حدد الباري سبحانه مهمة الإنسان في الأرض وجعله خليفة له، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ سورة البقرة/ آية: ١٠، وتعني الخلافة في الأرض تعميرها معنوياً ليرتقي الإنسان في سلّم الإنسانية،

وتعميرا ماديا من خلال استثمار الثروات. والخلافة بأبعادها ومقاصدها وتكاليفها محصلة نهائية لميثاق البناء الحضاري، ومن متطلبات كل حركة واعية ومسيرة حضارية الحاجة إلى تحديد غاية وهدف يشكل بلوغه الدافع في الحركة ويمكنه من إعطاء زخم معنوي ورافد مستمر لإدامة العطاء، وأية حضارة سادت في عمق التاريخ بدأت من الإنسان، فهو الغاية وهو الوسيلة في آن واحد ويتنامى دور الإنسان في تحمل مسؤولية البناء الحضاري مع تنامي المستوى الثقافي سواء كان ذلك التنامي في الثقافة النخبوية أو الثقافة الشعبية.

ويشير المفكر الجزائري مالك بن نبي إلى ثلاثة عناصر لبناء الحضارة، هي الإنسان، والتراب، والوقت. وقد تحدث عنها باستفاضة، وأشار إليها في أوائل ما كتبه عن النهضة، وظل حريصاً على إظهارها في مؤلفاته، إذ يقول لو سُمح لي أن ألخص وجهة نظر عبَّرت عنها منذ ربع قرن، لقلت إنه ليس من الضروري ولا من الممكن أن يكون لمجتمع فقير مليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا يستطيع الدهر أن ينقص من قيمته شيئاً، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه الإنسان، والتراب، والوقت.

وليست هذه العناصر أو الأضلاع الثلاثة على درجة واحدة من الأهمية، فالإنسان أكثرها أهمية فهو صانع التاريخ والحضارة، وباني المجتمعات ومؤسس العمران، وهو مبدع الأفكار وحاملها وهي التي تبني الحضارات. ولا يقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما فيه من أفكار. فحينما تحيق بمجتمع ظروف عصيبة تمحو منه أشياء فهو قادر على النهوض إذا حفظ الأفكار وأبدع أبناؤه، أما إذا فقد المجتمع السيطرة على عالم الأفكار، حل به الخراب والدمار، ولن تقوم له قائمة. مما يتضح أن الحضارة نتاج إنساني، والإنسان أهم عناصرها بل هو غايتها ووسيلتها ومحورها.

الثقافة

لا يخفى أن العلاقة بين الحضارة والثقافة متداخلة ومن الصعب الفصل بين المفهومين، ولا يمكن تعريف الحضارة دون الإشارة إلى الثقافة، وحتى الذين يفصلون بين المفهومين بالمعنى فأنهم يقرون بأهمية الثقافة في بناء الحضارة، وكل منهما ينتمي إلى الآخر.

ويورد الباحث يحيى سعيد محمد قاعود تعريفات وآراء مختلفة تشير إلى استقلالية المفهومين من جهة وتداخلهما من

جهة أخرى، ومنها تعريف تزفيتان تودوروف إذ يؤكد أن هناك استقلالية بين المفهومين، فالأول يحمل حكماً قيمياً مطلقاً، والثاني يقتصر على تميز حلقة من العالم مدرجة في سياق تأريخي، والحضارة والثقافة ليستا مفهومين متعارضين لأن كل مجموعة مستقرة تمتلك بالضرورة ثقافة، ووجودها شرط ضروري للحضارة.

ويقدم إدوارد تايلور تعريفاً مشتركاً للثقافة والحضارة فهما كل مركب يشتمل على المعرفة والقيم والمعتقدات، والفنون والأخلاق، والقانون والعادات والتقاليد والأعراف، وكل ما يكتسبه الإنسان من المجتمع.

وهو هنا أكد على العناصر اللامادية التي تنشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي، ويلتزم بها الأفراد، ويحصل التمازج والتلازم بين العناصر المادية والمعنوية لتشكيل الثقافة والحضارة. بمعنى أن الثقافة تلعب دوراً جوهرياً في بناء الإنسان وتطوير المجتمع وتقدمه وبلورة الوعي الإنساني ضرورية لمواجهة صعوبات الحياة ومشاكلها وتحدياتها، وهي شرط أساسي وضروري للحضارة والبناء الحضاري للمجتمع.

ويمكننا القول بأن الثقافة هي النتاج المعنوي للفرد والمجتمع

وهي روح الحضارة وملهمتها، والمجتمعات المثقفة أجدر من غيرها على بناء الحضارة والنهوض بالمجتمع الإنساني نحو التكامل والرقي.

والحضارة هي الوجه المادّي والظاهري للثقافة إذ إن الحضارات تتولّد من رحم الثقافات، ولهذا فالمجتمعات التي لها قدرة على امتلاك حضارة تكون ذات ثقافة غنية، وحاضنة للآداب، والفنون التخصصية، والمعمارية، وأسلوب التنظيم، والعادات والتقاليد المتشابكة والرصينة والمتجذرة، والتي تساهم في توسع مجتمع معيّن إذ إن طبيعة الحضارة تتطلب التوسع والتمدد، وأن يلحق بها أفراد ويتبعونها، وعلى ضوء هذا فالثقافة المتشابكة مع الحضارة تجنح نحو التوسع والتمدد في الثقافات الأخرى وأحياناً تبتلعها وتنهي أثرها.

الدين والعقيدة

يشير المؤرخ جوستاف لوبون أن أهم المبادئ التي تسير عليها الأمم، والتي تعد منار التاريخ وعماد الحضارة، هي المبادئ الدينية والتي تمثل أهم عنصر في حياة الأمم والشعوب، وأهم عنصر في تاريخها. ويؤكد الكثير من المهتمين بفلسفة الحضارة وفلسفة التاريخ، أهمية العقيدة في بناء الحضارة

الإنسانية وفي ازدهارها.

والدين بحسب أميل دوركهايم نسق موحد من المعتقدات والممارسات ذات الصلة بأشياء مقدسة. بمعنى أنها أشياء متفردة ذات حرمة ومعتقدات وممارسات تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد يسمى دار العبادة، أفراده أتباع هذه الدار. وكان حريصاً على تعريف الدين بظاهرة يمكن تحليلها اجتماعياً. وتعمد استبعاد أي مرجعية إلى الإله أو الخوارق الطبيعية، إذ تفادى الإشارة إلى الإله باعتباره كياناً متعالياً وعوضاً عن ذلك عرّف الدين من منطلق المعنى المطلق للحياة، والتركيز على ما يؤديه الدين من وظائف تجاه الفرد إذ يولد لديه حافزاً معنوياً، وتجاه المجتمع لغرض تقوية البناء الاجتماعي وتكامله. ويمكننا القول انه تعريف شامل.

أما دعاة التعريف الحصري للدين فيقولون إنهم يعكسون الاستخدام الشائع فقد رأى برايان ويلسونBryan Wilson أن تعريف الدين وببساطة هو توجه البشر نحو الطبيعة الفائقة، بينما يشير ستيف بروسSteve Bruce إلى المعتقدات والأفعال والمؤسسات التي تفترض وجود الرب أو قوة أخلاقية تحكم شؤون البشر.

وتتضح أهمية الدين وتأثيره في التكوين النفسي والخلقي والاجتماعي للمؤمنين به بما يحقق الانسجام والتكامل في البناء الداخلي للإنسان، وبين أفراد المجتمع مع بعضهم البعض مما يؤدي إلى ضبط الحركة الاجتماعية والحد من التصادم بين أفراد المجتمع، فالأديان جاءت لترسيخ البناء الذاتي والاجتماعي من خلال طرحها للمبادئ الصالحة والفهم السليم للحياة ووضع المنهج القويم للعلاقات الاجتماعية، وهذا الدور الكبير للدين جعله عمقاً للبناء الثقافي وشرطاً أساسياً لنهضة المجتمع الساعي لبناء الحضارة، ويشير لهذا المعنى المفكر الإسلامي الشهيد السيد محمد باقر الصدر من خلال طرحه لرؤيته عن أهمية الدين، إذ يقول إن الشرط الأساسي لنهضة الأمة- أي أمة كانت- أن يتوفر لديها المبدأ الصالح الذي يحدد لها أهدافها وغاياتها، ويضع لها مثلها العليا، ويرسم اتجاهها في الحياة، فتسير في ضوئه واثقة من رسالتها، مطمئنة إلى طريقها، متطلعة إلى ما تستهدفه من مثل وغايات مستوحية من المبدأ وجودها الفكري وكيانها الروحي، وتوفر المبدأ الصالح في الأمة يعني وجود المبدأ الصحيح أولاً، وفهم الأمة له ثانياً، وإيمانها به ثالثاً، فإذا استجمعت الأمة هذه العناصر الثلاثة أصبح بإمكانها أن تحقق لنفسها نهضة حقيقية، وأن توجد التغيير الشامل الكامل في حياتها على أساس

ذلك المبدأ، فما كان الله ليغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، كما دلّ على ذلك التنزيل الحكيم. وامتنا الإسلامية الكريمة لا تفقد في الحقيقة من عناصر الشرط الأساسي لنهضتها البناءة إلا واحداً منها، فالمبدأ موجود لديها ويتمثل في دينها الإسلامي العظيم الذي لا يزال وسيبقى أبد الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة المبدئية، وتوجيه الأمة وجهتها المثلى، والارتفاع بها من نكستها إلى مركزها الوسطي من أمم الأرض جميعاً كما شاء الله لها، والأمة الإسلامية كلها مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ وتقديسه ديناً وعقيدة، غير أن هذا الإيمان ضعيف في الغالب ومحدود لدى كثير من الأشخاص، وأكبر سبب في ذلك عدم امتلاك الأمة بصورة عامة للعنصر الثالث وهو فهم المبدأ، فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامي إيماناً جماعيا ولكنها لا تفهمه فهماً جماعياً.

ومن هنا جاء اختلاف الأمم في توجهاتها الثقافية والحضارية، فالأمم تختلف بمبادئها وتتفاوت في طبيعة فهم المبادئ وفي مستوى الإيمان بها، وتبعاً لذلك تختلف التوجهات الحضارية للأمم. فالدين يغير توجهاتها ويعظم تأثيراتها ويحدد مساراتها. ويذكر جوستاف لوبون بأن الديانات أنتجت أعظم الآثار في التاريخ، لأن الدين هو العامل الوحيد الذي تتوحد به مشاعر

الأمة وأفكارها إذ يحدث تطوراً في نفوس اتباعه، وبسببه تأسست أكبر الممالك التاريخية البارزة مثل ما أحدثه للقبائل العربية عندما اعتنقت الدين الإسلامي فحدثت نقلة نوعية كبيرة واستطاعت أن تقهر الأمم الأخرى. ويرى مالك بن نبي أن الوسيلة إلى الحضارة متوفرة ما دامت هناك فكرة دينية تؤلف بين العوامل الثلاثة، وهي الإنسان، والتراب، والوقت، لتركب منها كتلة تسمى في التاريخ (حضارة).

وللعقائد الدينية دور كبير في مجريات التاريخ وبناء الحضارة وتمثل القيمة العظمى للإنسان، ولها أهمية كبرى بتحفيز النّاس على النشاط وحثّهم على العمل وتحريرهم من الخضوع لسلطة العباد، مما يفجر طاقات البشر ويفضي إلى الإنتاج والإبداع الخلاق في شتى ميادين الحياة الإنسانية. وهذا في الحقيقة ليس إلا تحقيقاً لمعاني استخلاف الله سبحانه وتعالى للإنسان وحمله الأمانة بقصد إصلاح الأرض وإعمارها لا بإفسادها وخرابها. ويمكننا القول بان الدين أهم عوامل بناء الحضارات وتقدّم الأمم إذ يقوم بتنظيم الحياة تبعاً لنظرته الكونية لبناء القيم التي تؤثر بشكل كبير في المنظومتين الفكرية والأخلاقية للمجتمع.

القوة:

خاض العديد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاستراتيجيون العسكريون وأفاضوا منذ القدم حول تناول مفهوم القوة واختلفوا في تعريفه، إلا أن الاختلافات القائمة بينهم لم تكن جوهرية بالقدر الكبير، وتعد القوة مفهوماً خلافياً لا يقبل تعريفاً واحداً من جانب كل من يستخدمونه، فالبعض يعرّف القوة بأنها القدرة على خلق التغيير أو المقاومة، في حين يذكر آخرون أنها القدرة على أن نحصل على ما نريد، بمعنى السيطرة على الطبيعة وعلى الأشخاص الآخرين.

والقوة ببساطة هي القدرة على التأثير في الآخرين وإخضاعهم لإرادة القوي الفاعل، فالأقوياء في أي موقف اجتماعي كان أم سياسي أم اقتصادي أم ثقافي أم علمي، هم الذين يفرضون إرادتهم وكلمتهم ويسيّرون الأمور كما يرونها وفقاً لرؤيتهم أو مصالحهم الخاصة.

وتجاوز مفهوم القوة في مضمونه الفكري المعنى العسكري الشائع إلى مضمون حضاري أوسع ليشمل القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية... الخ. ولكن أياً من مصادر القوة مهما تعددت لا يكتسب وزناً وتأثيراً بمجرد وجوده

إنما يرتبط هذا الوزن والتأثير بالقدرة على التدخل الواعي لتحويل مصادر القوة المتاحة إلى طاقة مؤثرة وسلاح فاعل. وهناك فروق واضحة بين مجرد امتلاك مصادر القوة كالموارد والقدرات الاقتصادية والعسكرية والسكان وغيرها، وبين إمكانية تحويل هذه المصادر إلى عنصر ضغط وتأثير في إرادات الآخرين. وارتبط مفهوم القوة بشكل كبير مع تأسيس وانطلاق الحضارات، وهي ضرورية ومؤثرة في استمرارها وديمومتها وانتشارها.

ويعرف هانز مورغانتو Hans Morgenthau القوة بأنها القدرة التي يملكها الإنسان للتحكم في أفكار وسلوكيات الآخرين. وتكمن أهمية القوة في أن الثقافة غالباً تتبع القوة، وعبر التاريخ كان امتلاك وتنامي القوة لأي حضارة مواكباً لنمو ثقافتها، وتقوم الأمة المتحضرة باستعمال قوتها في نشر قيمها ونمط حياتها إلى مجتمعات أخرى، لذا فإن حضارة عالمية تتطلب قوة عالمية.

ونستنتج مما تقدم أن الحضارة نتاج اجتماعي يتم بناءً على ما يحمله أبناء المجتمع من ثقافة وما يؤمنون به من مبادئ وقيم يسيرون بها نحو أهداف محددة. وكل من الثقافة والحضارة يصوغان نمط الحياة للمجتمع والأفراد. والإنسان هو

المحور الأساس لبناء الحضارة يؤثر فيها ويتأثر بها. وتبين لنا الدور الكبير الذي يلعبه الدين في ضبط سلوك الأفراد وتحديد ثقافتهم وتأطير البناء الحضاري للمجتمع، عندما يتوفر لديهم الوعي والإيمان الراسخ بالمبدأ السليم وهو الدين. لأن الحضارة تصنعها الفكرة الدينية والمبدأ الأخلاقي السليم الذي يخلق الاستقرار النفسي والاجتماعي. والقوة بمختلف أشكالها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية تعزز البناء الحضاري عندما تُستثمر بشكل واع لغرض ديمومة الحضارة واستمرارها وانتشارها. وعندما يتم بناء الحضارة وتترسخ الثقافة بين أبناء المجتمع يتم على ضوئها تحديد الإطار العام للسلوك الفردي والاجتماعي على حد سواء.

السلوك

تنشأ بين الإنسان منذ ولادته علاقة تفاعلية مع البيئة المحيطة فيؤثر كل منهما في الآخر، وتلعب هذه العلاقة دوراً مهماً في ظهور النشاط عند الإنسان، وتوجيهه، ويطلق على مجموع نشاط الإنسان ما يصطلح عليه بالسلوك. ويتغير السلوك بتغير المنبهات البيئية. وتتنامى معرفة الإنسان بالبيئة بشكل مستمر مما يؤدي إلى تغير سلوكه تبعاً لمعرفته المستمرة لبيئته، وعندما يزداد تعقد الحياة يزداد السلوك الإنساني تعقيداً.

والسلوك في اللغة سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، فنقول إن أحد الناس حسن أو سيء السلوك، ونقصد وصف سيرته أو اتجاهاته او مذهبه في الحياة. والسلوك في الاصطلاح أمر مختلف بشأنه فقد ذكر السلوكيون Behaviorists ان السلوك ما يأتيه الفرد من تصرفات واستجابات واضحة للعيان ويمكن رصدها وقياسها، وقال غيرهم تعريفا أوسع للسلوك إذ ضمّوا إلى ما سبق ما يفكر فيه الفرد، وما يتحصل بذهنه من نتائج، وما يذهب إليه خياله وتصوّره، وتلك أمور قد يكون من الصعب ملاحظتها او التصدي لها.

أما مجال السلوك فهو المكان الذي يحتوي الإنسان ومثيرات السلوك، سواء كانت المثيرات مادية في بيئته أو معنوية تأتي من داخله، فالإنسان يتبادل التأثير مع مجاله، يؤثر فيه ويتأثر به. ولكي يكون تفسيرنا للسلوك معتدلاً ومعقولاً ينبغي ملاحظة ما يحيط به من ظروف بيولوجية ونفسية واجتماعية ومادية، وكذلك النظر لظروفه الماضية. فالسلوك الإنساني لا ينفصل عن ظروفه الذاتية والبيئية، ولا ينفصل عن دوافعه أيضاً فالدوافع تلعب دوراً مهماً في حياة الإنسان وفي المحافظة على حياته واستمرار بقائه وفي تحقيق أهدافه. ولا ينتج السلوك الا بفعل الدوافع الذاتية والاجتماعية.

وتمثل الاتجاهات مؤثرات للسلوك ومحددات مهمة كونها وثيقة الصلة بحياة الإنسان وأفكاره وقيمه وخبرته وتنشئته وثقافته، ولكل إنسان اتجاهاته الخاصة نحو مجالات الحياة المختلفة، وتكونت هذه الاتجاهات بعد مراحل التنشئة الاجتماعية والظروف الخاصة التي مر بها وبعد خبراته السابقة، وطبيعة المجتمع الذي نشأ فيه. والاتجاه حالة من الاستعداد لاستثارة الدافع، واتجاه المرء نحو موضوع معين استعداد لاستثارة دوافعه فيما يتصل بالموضوع، ويتأثر هذا الاستعداد بخبرة المرء ومعارفه السابقة عن الموضوع سلباً أو إيجاباً. ويمكن تفسير الاتجاه بتركيب عقلي نفسي تحدثه الخبرات المتراكمة وهو مكتسب مشتق من تفاعل الفرد مع عناصر البيئة الخارجية المادية أو المعنوية أو البشرية، ويتميز بالدينامية والتجدد والثبات والاستقرار النسبي.

تأثير البيئة في السلوك:

البيئة هي العوامل الطبيعية والبشرية والثقافية التي تؤثر على الفرد والمجتمع وتحدد شكلها وعلاقتها وبقاءها. وتعني البيئة من الناحية الاجتماعية ما يؤثر على الإنسان ويساهم في بلورة وصيرورة أنواع معينة من السلوك والعلاقات والتفاعلات

الاجتماعية في المحيط، وتختلف البيئة من مكان إلى آخر كما تختلف تفاعلات الإنسان ضمن البيئة الواحدة إذ تحدد البيئة سلوك الإنسان من خلال تأثيرها في مزاجه وقناعاته. ولا تتمثل العلاقة بين السلوك والبيئة بتأثير البيئة في السلوك، فالأخير غير خاضع لمحددات البيئة فحسب، بل البيئة في جزء منها نتاج لمعالجة الفرد لها. ولا تؤثر البيئة في سلوك الإنسان فحسب وإنما تؤثر في نموه وتكوينه وبنائه وشخصيته وصحته الجسمية والعقلية والنفسية ومدى إصابته بالمرض أو تمتعه بالصحة واتجاهاته وميوله وأفكاره وآرائه ومعتقداته وفي سماته الشخصية، وفي تأثير الألوان والموسيقى والأشكال وطرائق الاتصال أو التفاعل بين عناصر البيئة التي تؤثر في بعضها بعضاً وتؤثر في الإنسان وتتأثر به.

وتترابط البيئة الاجتماعية بمكوناتها بالبيئة الطبيعية ارتباطاً وثيقاً فالبيئة الطبيعية تحدد نوع المهنة والحرفة السائدة ونمط الحياة وطبيعة السلوك وشكل العلاقات الاجتماعية. وتحوي البيئة المحيطة للإنسان عدداً كبيراً من المحفزات والمثيرات فالسلوك مجموعة من الاستجابات والبيئة مجموعة من المثيرات. وهناك نوعين من السلوك هما السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي.

والسلوك الفردي من أبسط صور السلوك إذ يتعلق بفرد معين فكل فرد منا يتعرض لمواقف متعددة في حياته اليومية، نطلق على كل موقف منها لفظ مؤثر. ويختلف الأفراد في ردود أفعالهم تجاه الموقف الواحد ويرجع ذلك إلى اختلاف المتغيرات التي تحكم سلوك الفرد.

والسلوك الاجتماعي هو السلوك الذي يتمثل في علاقة الفرد بغيره من أفراد الجماعة وهو أحد صور السلوك الشائعة في الحياة الإنسانية إذ يميل الإنسان بطبيعته إلى الانتماء والتفاعل مع الآخرين، وتكوين العلاقات الاجتماعية مع غيره من الأفراد. وتفرض هذه الرغبة في الانتماء على الفرد، ضغوطاً من الجماعة تتمثل في تعديل سلوكه بما يضمن له التكيف والبقاء مع هذه الجماعة وتطويعه واندماجه معها. ويتضمن السلوك الاجتماعي تصرفات الأفراد وأفعالهم الناتجة من تفاعلهم مع المجتمع فيكتسبونها ويتعلمونها من محيطهم الاجتماعي المتمثل بالعائلة والمدرسة والأصدقاء وبقية التنظيمات. أي إن الهوية الذاتية للفرد تتشكل بتفاعله مع المجتمع.

وافترض عالم النفس فرويد أن الجهاز النفسي للفرد يتكون من ثلاثة أنظمة هي الهو، والأنا، والأنا العليا، والأصل في هذا الجهاز هو الهو، أو الجزء اللاشعوري الذي يولد به الفرد.

وهو بخصائصه اللاشعورية لا خلقي ولا منطقي، ويسعى دوماً إلى تحقيق اللذة، ويتميز به الفرد بوصفه كائناً عضوياً عن الشخص بوصفه ذاتاً اجتماعية. وعندما يتصل الهو بالمجتمع تبدأ عملية تكوين الأنا أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وتعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية، ويخضع الأنا لمبدأ اللذة، وهو منطقي، وإذا تمكن من تحقيق رغبات الهو فيحققها في إطار الواقع الذي يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه. ويشتق الفرد الأنا العليا سماعياً من أوامر الأب ونواهيه، كما تدركها الأنا. أي ما يقوله الأب أمراً، ناهياً، مهدداً، راضياً، مشجعاً، مكافئاً. وينقل الأب بذلك إلى أولاده سلطة أبويته هو. وكأن الأنا العليا مظهر استمرار قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وطقوسه إلى الأجيال القادمة. وهي بذلك أساس لمعايير السلوك الاجتماعي. ويكتسب الفرد سلوكه الاجتماعي من العادات والتقاليد والمعايير والقيم بعمليتين هما عملية تكوين الأنا، وعملية تكوين الأنا العليا من خلال التنشئة الاجتماعية.

ولا يثبت سلوك الإنسان عند حدٍ معين ولا يتخذ صورة محددة فله خاصية المرونة والقابلية للتعديل والتغيير والتكيف. والعوامل الذاتية للفرد ومجموعة العوامل البيئية المادية والاجتماعية هي

المسؤولة عن السلوك. أي إن شخصية الإنسان وسلوكه لا يعتمد على دوافعه الفطرية أو الذاتية فقط، فإن نموّه وتفاعله مع المجتمع يجعله يكتسب قيمه وعاداته وتقاليده واتجاهاته من مجتمعه وبيئته التي يعيش فيها، ويتغير سلوكه بتأثير اجتماعي كبير، بما في ذلك توجهه وتبنيه للمظاهر الحضارية والتوجهات الثقافية.

العلاقة بين الحضارة والسلوك الاجتماعي:

الحضارة هي الشكل الأكثر أصالة وواقعية للمجتمع، وهي نتاج اجتماعي يتم بناءً على ما يحمله أبناء المجتمع من ثقافة وما يؤمنون به من مبادئ وقيم يسيرون بها نحو أهداف محددة. وكل من الثقافة والحضارة يصوغان نمط الحياة للمجتمع والأفراد. والإنسان هو المحور الأساس لبناء الحضارة، يؤثر فيها ويتأثر بها. وتبين الدور الكبير الذي يلعبه الدين باعتباره أهم المبادئ المتحكمة في ضبط سلوك الأفراد وتحديد ثقافتهم وتأطير البناء الحضاري للمجتمع، وتطور شخصية الإنسان ونموها داخل المجتمع تجعله يكتسب قيمه وعاداته وتقاليده وتوجهاته، وضبط سلوكه بتأثير اجتماعي كبير بما في ذلك توجهه وتبنيه للمظاهر الحضارية والتوجهات الثقافية.

وبنـاءً علـى مـا تقدم يمكـن اعتمـاد التعريـف النظـري الآتـي لمفهوم السلوك الحضـاري: **الأفعـال والنشـاطات والاتجاهـات الاجتماعيـة الواعيـة التـي يقوم بها الفرد والمجتمع، ويلتزم بها وفقاً للنمط الحضاري الذي تعكسـه القيـم الإنسانية المتناغمـة مـع ثقافـة وقيـم المجتمـع، ويـؤدي إلـى تحقيـق التطور المـادي، والمعنـوي فـي مجـالات الحيـاة كافـة.**

وتتمثـل أركان التعريـف فـي طبيعـة السـلوك، وهـو سـلوك اجتماعـي واعٍ. ومحـددات السـلوك الحضـاري، ويتقيـد بالنمـط الحضـاري الـذي تعكسـه القيم الإنسـانية المتناغمـة مـع ثقافـة وقيـم مجتمعـه. وهدفـه، ويـهدف إلـى التطـور والرقـي المـادي، والمعنـوي فـي مجـالات الحيـاة كافـة.

ورغم تميز السلوك الحضـاري بالثبـات النسـبي، إلا أنـه قابـل للتعديـل والتغييـر فيمـا لـو تعـرض لمؤثـرات وضغوطـات سـواء كانـت سـلبية أو إيجابيـة.

إدارة العمل الاجتماعي

تعتمد قابلية تغيير السلوك والاتجاه على بساطته أو تعقيده، فالسلوكيات والاتجاهات المركبة والمبنية على حقائق ومعلومات دقيقة وقوية تكون اصلب من الاتجاهات القائمة على عدد بسيط من الحقائق والمعلومات.

ومن هنا يبرز دور المختصين في مجال الخدمة الاجتماعية وإدارة العمل الاجتماعي للمساهمة في الحفاظ على إيجابية السلوك الحضاري وحمايته من الانحراف أو الابتعاد عن ثقافة وقيم المجتمع، وضرورة العمل على إدامة التواصل بين الفرد وبيئته ومحيطه الاجتماعي، فمهنة العمل الاجتماعي كما عرّفها الاتحاد الدولي للعمل الاجتماعي تعمل على التطور الوظائفي للشعب أفراداً وجماعات عن طريق نشاطات تركز على العلاقات كعامل تواصل بين الإنسان وبيئته. وتعد مهنة الخدمة الاجتماعية وإدارة العمل الاجتماعي من المهن الإنسانية التي تعمل في مجال التدخل الوقائي والعلاجي الإنمائي لتحسين الأداء الاجتماعي للأفراد وان ممارسة الخدمة الاجتماعية توسعت في تقديم خدماتها واتجهت نحو الشراكة المجتمعية داخل المجتمع من خلال المدارس والمؤسسات والهيئات المجتمعية المختلفة، وأصبحت مؤسسات العمل

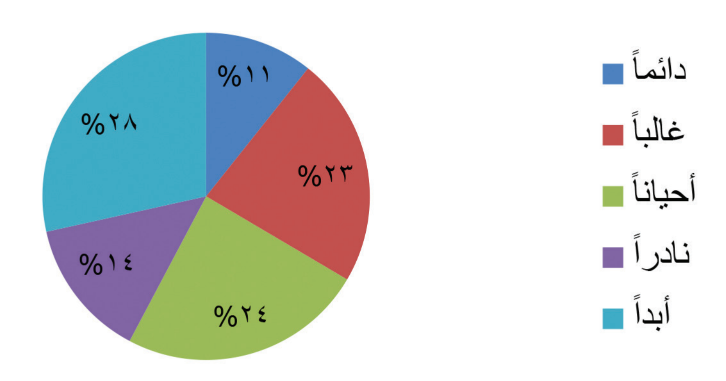
الاجتماعي أداة لنهوض المجتمع وفق قيم ومستويات اجتماعية ترتبط بالعمق الاجتماعي واحتياجات المجتمع، والأخصائيين الاجتماعيين العاملين في مجال رعاية الطلبة الجامعيين لهم دور رئيسي في عملية التوجيه والإرشاد، ويتخذ الأخصائيون الاجتماعيون من خلال الممارسة المهنية لطرائق المهنة دعامة أساسية في زيادة قدرة الأفراد على القيام بوظائفهم الاجتماعية معتمدين في ذلك على توفير مجموعة من الأنشطة تهتم بعلاقاتهم وتفاعلهم وإحداث تغيير يستهدف تعليم وتنمية وتدريب الأفراد.

ومهنة الخدمة الاجتماعية كمهنة إنسانية قد حددت أهدافها على أساس التدخل لتحسين الأداء الاجتماعي للإنسان والوصول به إلى أفضل مستوى للتكيف وتحسين ظروف الحياة، والمساهمة في إعداد أبناء المجتمع والتخطيط لبرامج رعاية الشباب بما يتناسب مع ظروف المجتمع وأهدافه وإمكانياته.

تحليل الواقع العراقي إحصائياً:

أجرى الباحث مقياساً لمعرفة التأثير الذي أحدثته القوة الناعمة الأمريكية بعد أربعة عشر عاماً من الصراع الناعم الأمريكي العراقي، وبعد صياغة فقرات المقياس باعتماد طريقة (ليكرت) الخماسية التي تتضمن خمسة (بدائل) هي (دائماً، وغالباً، واحياناً، ونادراً، وابداً)، وتم تحديد أوزانها من (٥) إلى (١) تصاعدياً أو تنازلياً بما يتناسب مع منطوق الفقرة سلبا أو إيجابا، وتم تطبيق المقياس على عينة من الشباب العراقي، فظهرت النتائج الآتية:

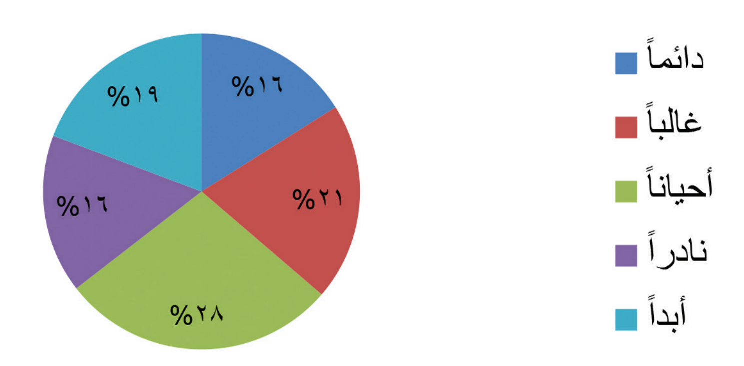
الطلبة والباحثون الذين شاركوا في المؤتمرات وورش العمل الخاصة بـ (حقوق الانسان، والمساوات،..الخ) التي أقامتها المنظمات الأمريكية، وتأثرت سلوكياتهم وتوجهاتهم سلبياً تجاه المجتمع.



أجاب ٢٨٪ من أفراد العينة (أبداً) وهي إجابة قاطعة بضعف التأثير السلبي في سلوك وتوجهات الطلبة والباحثين المشاركين في المؤتمرات وورش العمل التي أقامتها المنظمات الأمريكية، ومن الممكن أن يدلنا على وعي المشاركين أو إيجابية هذه الفعاليات، ويعزز هذا الرأي إجابة ١٤٪ من أفراد العينة كانت أجابتهم (نادراً) مما يعني أن رأيهم قريب ومساند لما استنتجناه آنفاً. وأجاب ٢٤٪ من أفراد العينة (أحياناً) وقد يكون هؤلاء ممن لم يشتركوا ولم يكونوا مهتمين بهذا النوع من الفعاليات. في حين كانت أجابت ٢٣٪ من العينة (غالباً) وهي نسبة ذات دلالة إحصائية بوجود تأثير سلبي لمن اشتركوا بهذا النوع من الفعاليات، ويساندهم بقوة نسبة ١١٪ من أفراد العينة

ممن أجابوا (دائماً). ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند إجابتهم على هذه الفقرة من ملاحظة الوسط الحسابي والانحراف المعياري، وقد يرجع السبب إلى الانطباعات السابقة عن هذه الفعاليات أو تفاوت بمستوى الثقافة العامة بين طلبة الجامعة. ويتضح بأن هذه الوسيلة من وسائل القوة الناعمة الأمريكية لها تأثيرات سلبية محدودة.

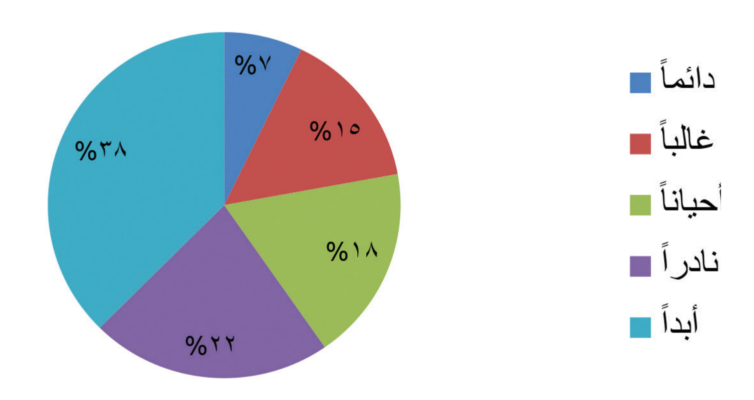
أفضّل العلامات التجارية للمطاعم والملابس الأمريكية لأنها تقربنا من نمط الحياة العصرية.



أجاب ٢١٪ من أفراد العينة (غالباً) وهم يفضلون العلامات التجارية للمطاعم والملابس الأمريكية لاعتقادهم بأنها تقربهم من نمط الحياة العصرية، ويعزز هذا التوجه نسبة ١٦٪ الذين أجابوا (دائماً) وهي تعكس تمسك نسبة عالية من طلبة الجامعة بالعلامات التجارية الأمريكية، في حين كانت إجابة ٢٨٪ من أفراد العينة (أحيانا) وهي لا تعارض ولا تؤيد بوضوح التوجه السابق وهم ممن لا يهتمون بالمظاهر العامة في حياتهم. وتقابلها نسبة ١٩٪ من أفراد العينة ممن أجابوا (أبداً) وهم يرفضون الموقف السابق بشكل قاطع، يتناغم معه نسبة ١٦٪ أجابوا (نادراً) وهم يرون أهمية لهذه العلامات. ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند أجابتهم على هذه

الفقرة من ملاحظة الوسط الحسابي والانحراف المعياري مما يعني أن العلامات التجارية للمطاعم والملابس الأمريكية استطاعت أن تحقق نجاحاً في جذب واستمالة شريحة واضحة من طلبة الجامعة.

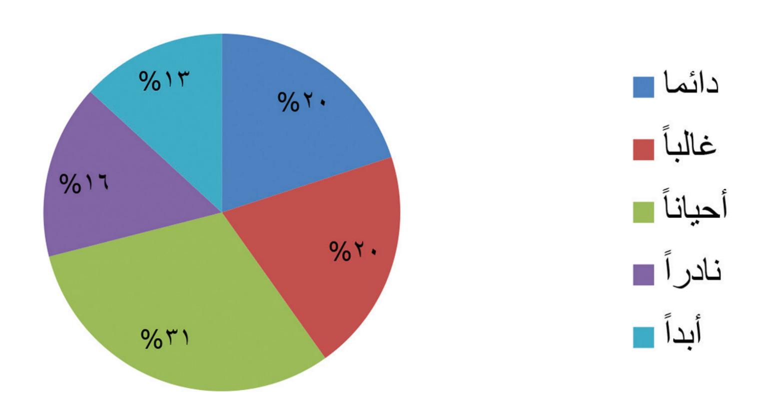
وجبات الطعام التي تحضر على النمط الأمريكي أكثر ملائمة للحياة العصرية من وجبات الطعام العراقية.



أجاب ٣٨٪ من أفراد العينة (أبداً) وهي نسبة تمثل أكثر من ثلث أفراد العينة إذ يعدون وجبات الطعام العراقية أكثر ملائمة لحياتهم من الوجبات التي تحضر على النمط الأمريكي، ويعزز هذا التوجه نسبة ٢٢٪ الذين أجابوا (نادراً) وتعكس تمسك نسبة عالية من طلبة الجامعة بنمط ونوع الطعام العراقي وضعف تأثرهم بالنمط الأمريكي، في حين كانت إجابة نسبة ١٨٪ من أفراد العينة (أحيانا) وهي لا تعارض ولا تؤيد بوضوح التوجه السابق. ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند أجابتهم على هذه الفقرة من ملاحظة الوسط الحسابي والانحراف المعياري فقد أجابوا (غالباً) ونسبة ٧٪ (دائماً) وهم

المتأثرون بالنمط الأمريكي والراغبون بوجبات الطعام التي تقدم وفقاً للنمط الأمريكي لأنها أكثر ملائمة للحياة العصرية.

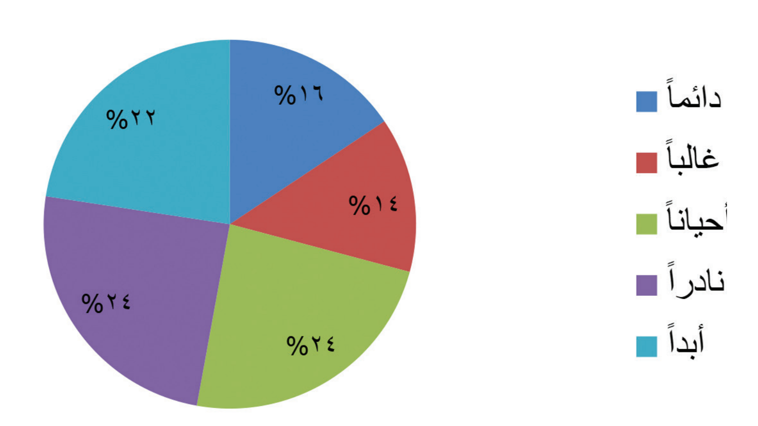
افضّل استعمال الاشارات والوجوه والرسوم التعبيرية المستخدمة في مواقع التواصل الاجتماعي على استخدامي للغة العربية.



أجاب أفراد العينة بـ ٢٠٪ (دائماً) و ٢٠٪ (غالباً) مما يشير إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية تشير إلى وجود ميل أو توجه لاستخدام الرموز والإشارات أكثر من استخدام اللغة العربية ربما لسهولتها أو لكونها باتت شائعة أو حتى لتجنب الأخطاء الإملائية أو التعابير الركيكة أو استثماراً للوقت، إلى جانب نسبة ٣١٪ أجابوا (أحياناً) وهي ذات دلالة إحصائية تشير إلى التردد وضعف تبني موقف واضح ومحدد. في حين أجاب ١٣٪ (أبداً) و ١٦٪ (نادراً) وهي مؤشرات ذات دلالة إحصائية تفيد إلى انه مازال هناك عدد غير قليل من الطلبة يفضلون استخدام اللغة العربية والتعبير بها ومن خلالها على أي موقف في وسائل التواصل الاجتماعي. ويتضح أن

شبكات التواصل الاجتماعي ساهمت بتردي استعمال اللغة العربية من شريحة كبيرة من الطلبة وهي تدفعهم إلى العودة إلى صيغة الكتابة الصورية والرمزية.

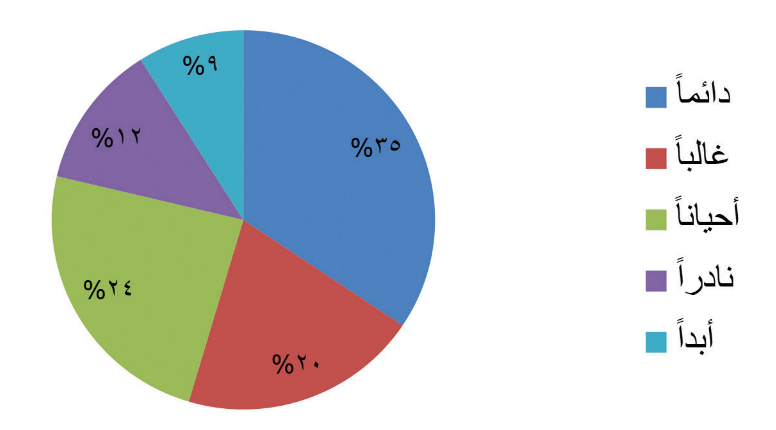
أفضل زيادة عدد اصدقائي على مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية علاقاتي الاجتماعية.



توحي إجابات أفراد العينة أن أغلبهم يرون ضرورة التمسك بالعلاقات الاجتماعية وتنميتها وتجاوز علاقات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية الفاعلة ويتضح ذلك من خلال إجابة ٢٤٪ (نادراً) وتعززها إجابة ٢٢٪ (ابداً). يقابلها نسبة ١٦٪ كانت إجابتهم (دائماً) و ١٤٪ (غالباً) وهم الذين اقتنعوا بالأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي. وأجاب ٢٤٪ من أفراد العينة (أحياناً) وهؤلاء ربما لم يكونوا من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بشكل كبير أو انهم لم يكونوا رأياً محدداً إزاءها. وبناءً على ما تقدم فإن أغلبية طلبة الجامعة يفضلون تنمية علاقاتهم الاجتماعية الفاعلة رغم استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعي، مع وجود تأثير

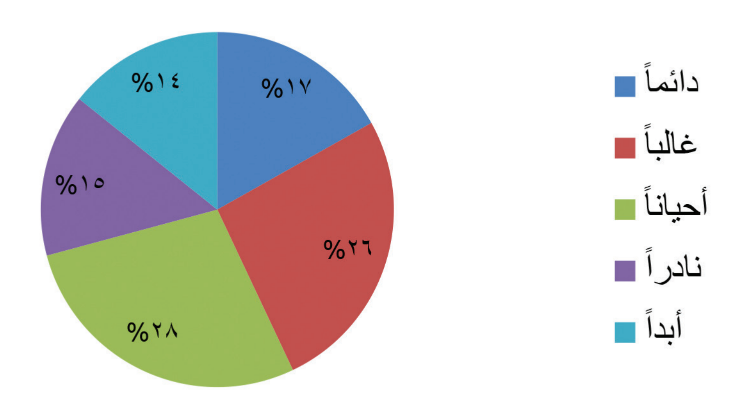
متنامي لشريحة كبيرة من الطلبة تفضل علاقات الصداقة في العالم الافتراضي على علاقاتها الاجتماعية.

أفضّل طريقة الزواج التي تسبقها اللقاءات والحب بين الشريكين.



أجاب ٣٥٪ (دائماً) و٢٠٪ (غالباً) و٢٤٪ (أحياناً) مما يعكس وجود دلالة إحصائية على أن أفراد العينة لديهم رؤية واضحة بضرورة اللقاءات وإقامة علاقة حب بين الشريكين قبل الزواج إذ يعكس وجود اتجاه واضح يصب بهذا المعنى ويقابله نسبة قليلة بلغت ١٢٪ (نادراً) و٩٪ (أبداً) التي ترفض هذا الاتجاه. ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند إجابتهم على هذه الفقرة وقد يرجع سببه إلى التفاوت بين القيم التي يؤمنون بها السلوكيات التي انجذبوا نحوها. وهذا يشير إلى وجود تأثير واضح للأنموذج الثقافي الغربي بشكل عام والأمريكي لا سيما سلوك طلبة الجامعة.

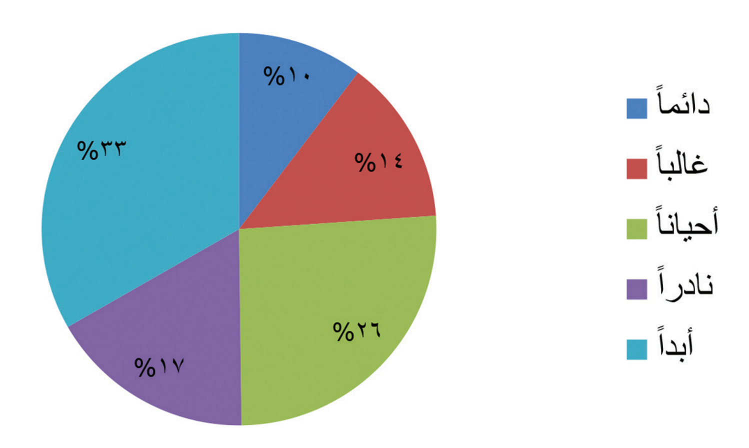
التواصل مع المواقع والقنوات الأمريكية جعلني أكثر تقبلاً للرأي الآخر، وأكثر رغبة في مساعدة الآخرين، وأصبحت أفضّل العمل الجماعي.



أجاب ٢٦٪ من أفراد العينة (دائماً) وهي نسبة تزيد على ربع العينة ولها دلالة إحصائية توحي بأن المواقع والقنوات الأمريكية قادرة على التأثير لمتابعيها بإشاعة روح العمل الجماعي وخلق الرغبة في مساعدة الآخرين وإشاعة العمل الجماعي، ويعزز ذلك نسبة ١٧٪ أجابوا (دائماً) وهو توجه جيد للاستفادة من الصفات والعادات الإيجابية. وكانت نسبة ٢٨٪ إجابتهم (أحياناً) ربما لم يكونوا من المستخدمين أو لم يستفيدوا منها بوضوح. فيما كانت نسبة ١٥٪ إجابتهم (نادراً) وهم لا يرون وجود هذه الإيجابية عند استخدامهم للوسائل المذكورة، يعززهم ١٤٪ أجابوا (أبداً) وهم قطعوا بعد الاستفادة منها. وهذا يعني أن هناك جوانب إيجابية يمكن لمستخدمي

وسائل التواصل والقنوات الأمريكية الاستفادة منها.

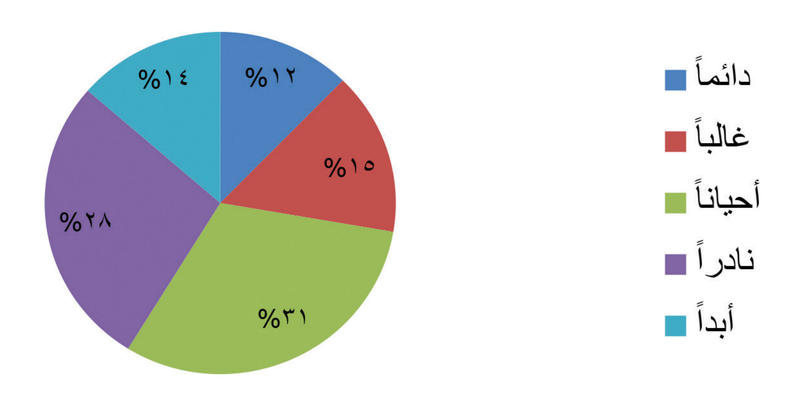
الأغاني الأمريكية سمة من سمات المجتمعات المتحضرة.



أجاب نسبة ٣٣٪ (أبداً) وهم يمثلون ثلث أفراد العينة، وهو مؤشر على وجود حالة وعي وفرز لما يأتي من مصاحبات الثقافات الوافدة إذ إن الأغاني تمثل جانباً فنياً مهماً وقبولها من عدمه يؤشر الخصوصية الفنية لطلبة الجامعة، وإذا ما لاحظنا نسبة ١٧٪ أجابوا (نادراً) فهذا يعزز قدرة العينة على تمييز الذوق والخصوصية الفنية. وأجابت نسبة ٢٦٪ (أحياناً) مما يعني أن الغالبية العظمى من العينة لم تجذبهم الأغاني الأمريكية ولا يعدونها سمة من سمات الحضارة. وأجاب نسبة ١٤٪ (غالباً) وهم يمثلون نسبة قليلة من العينة تقبلوا أن تكون الأغاني الأمريكية سمة حضارية، في حين تضاءلت نسبة الذين كانت إجابتهم (دائماً) إلى ١٠٪ وهي نسبة قليلة

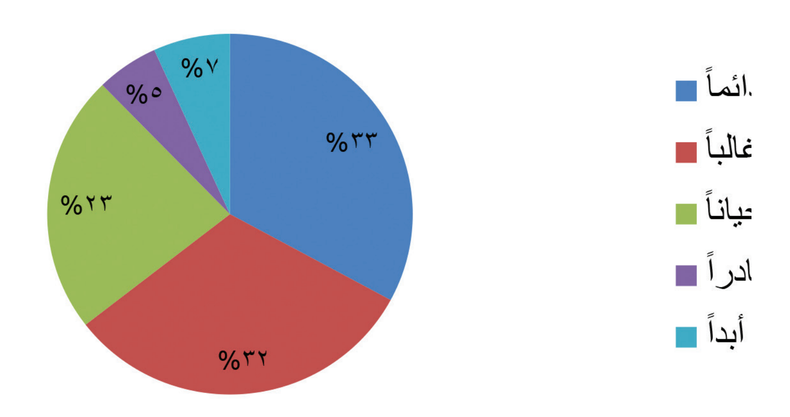
جداً ولكنها تعكس توجهاً متنامياً بطـيء نحـو تقبـل الأغانـي الأمريكيـة كسمة من سمات المجتمعات المتحضـرة.

أفضّل المشاركة في الفعاليات التي تنظمها منظمات المجتمع المدني المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية.



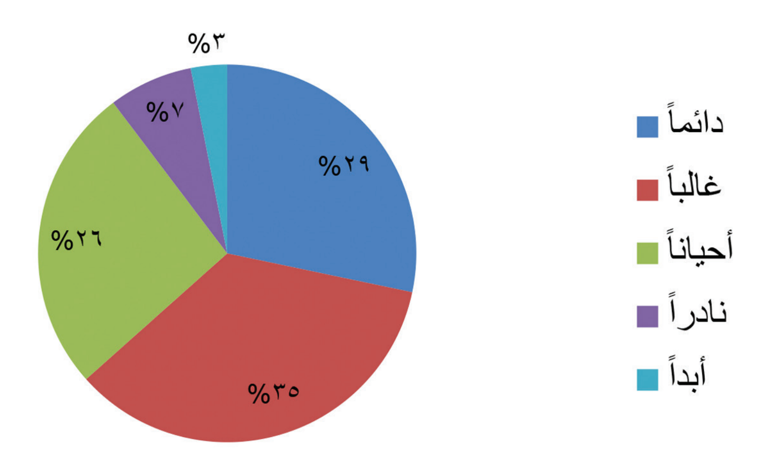
يتضح من إجابة نسبة ٣١٪ من أفراد العينة (أحياناً) على أن ثلث العينة لم يتوضح رأيهم بخصوص المشاركة بالفعاليات التي تقيمها منظمات المجتمع المدني المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، وان إجابة نسبة ٢٨٪ من أفراد العينة (نادراً) و١٤٪ (أبداً) يشير إلى ضعف القدرة على استقطاب عدد كبير من أفراد العينة، مما يشير إلى أن توجهات النسبة الأكبر من أفراد العينة بعيدة عن أنشطة وفعاليات هذه المنظمات ولا تفضل المشاركة في فعالياتها وأنشطتها. وكانت إجابة نسبة ١٥٪ (غالباً) و١٢٪ (دائماً) يدل على وجود تأثير محدود لهذه الوسيلة من وسائل القوة الناعمة الأمريكية.

أسعى الى الحصول على منحة دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية لأنها تقربني م
المجتمع الأمريكي



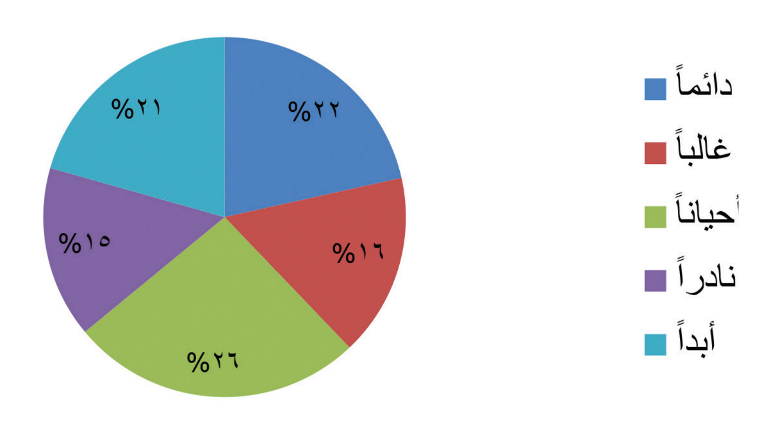
أجاب ٣٣٪ من أفراد العينة (دائماً) معززة بإجابة ٣٢٪ (غالباً) وهي نسب تعكس وجود دلالة إحصائية على أن المنحة الدراسية وسيلة جذب ناجحة لمعظم طلبة الجامعة. ونسبة ٢٣٪ من أفراد العينة كانت إجابتهم (أحياناً) وهؤلاء لم يبدو رأياً واضحاً حيال ذلك، فيما كانت نسبة ٧٪ إجابتهم (أبداً) و ٦٪ إجابتهم (نادراً) وهي مؤشرات ذات دلالة إحصائية ضعيفة قياساً للإجابات السابقة. مما يعني أن المنح الدراسية من وسائل القوة الناعمة الأمريكية الجاذبة لشريحة طلبة الجامعة.

الحالة النفسية لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي تتأثر بما تعيش في العالم الافتراضي.



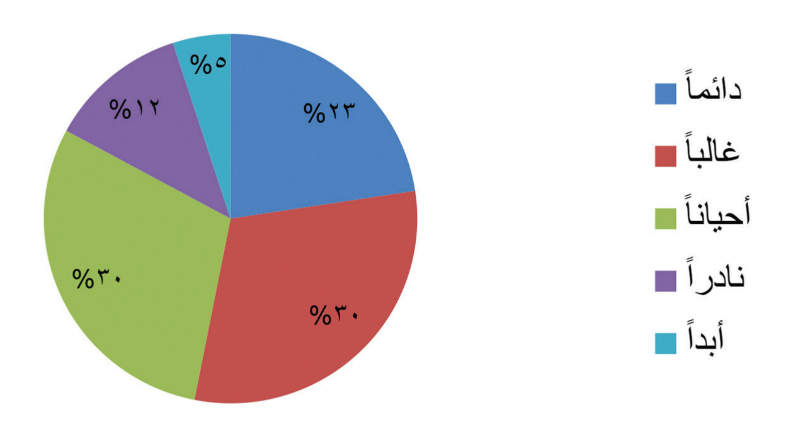
يلاحظ أن نسبة ٣٥٪ من أفراد العينة كانت إجابتهم (غا وهي نسبة كبيرة تتجاوز الثلث الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن شبكات التواصل الاجتماعي أثرت على مستخدميها وساهمت برسم تصورات وأفكار تجعلهم يعيشون في ظلها تحت تأثير نفسي يأخذهم بعيداً عن واقعهم. ونسبة ٢٩٪ كانت إجابتهم (دائماً) وهذا يؤيد ما ذكرناه من وجود التأثير النفسي على أفراد العينة. وعكست إجابات أفراد العينة على هذه الفقرة وجود تجانس نسبي في إجاباتهم إذ إن ٢٦٪ منهم أجاب (أحياناً) في حين بلغت نسبة الإجابة (نادراً) ٧٪، و(أبداً) ٣٪. ومن ذلك نستنتج بان هذه الوسيلة كانت ناجحة في جذب الفئة المستهدفة والتأثير على حالتهم النفسية.

شبكات التواصل الاجتماعي تتيح لي التواصل مع الجنس الآخر بعيداً عن الموانع الاجتماعية والدينية.



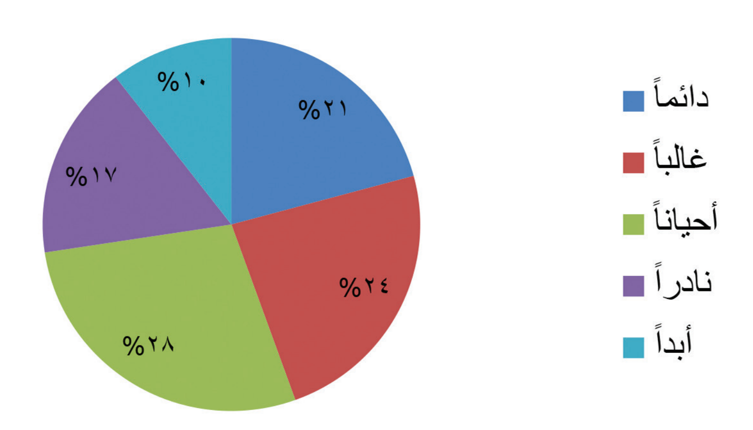
تشير إجابات العينة إلى وجود ميل إلى استغلال شبكات التواصل الاجتماعي لتخطي الموانع الدينية والاجتماعية في التواصل مع الجنس الآخر إلا أن هذا العدد رغم كثرته لم يتبلور إلى اتجاه متميز لوجود اتجاه آخر بنفس القوة العددية ليس لديهم الرغبة في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي للتواصل مع الجنس الآخر بعيداً عن الموانع والضوابط الدينية والاجتماعية، أي من الممكن أن يكون جزءً كبيراً من أفراد العينة مدرك لأهمية أن لا يتخطى هذه الضوابط في كل الظروف لوعيهم الديني والاجتماعي. وتتضح قدرة وامكانية وسائل التواصل الاجتماعي على جذب طلبة الجامعات نحو النمط الثقافي الأمريكي بعيداً عن النمط المحلي.

يصبح مستخدمو شبكات التواصل والمواقع والبرامج والأفلام الأمريكية أكثر تحرراً من المحددات والضوابط الاجتماعية والدينية.



أجاب ٣٠٪ من أفراد العينة (غالباً) وهي مؤشرات ذات دلالة إحصائية تعكس ما يقارب ثلث العينة يرون أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع والبرامج والأفلام الأمريكية يكونون أكثر تحرراً من المحددات والضوابط الاجتماعية والدينية، ويعزز هذا الرأي نسبة ٢٣٪ من أفراد العينة أجابوا (دائماً)، أما الذين كانت إجابتهم (أحياناً) فربما لم يكونوا من مستخدمي هذه الوسائل لذلك لم يكن لهم رأي واضح. يقابل ذلك نسبة ١٢٪ إجابتهم (نادراً) و٥٪ إجابتهم (أبداً) وهي نسب ذات دلائل إحصائية ضعيفة. وهذا يدل على نجاح هذه الوسائل في جذب واستمالة طلبة الجامعة وخلق فجوة بينهم وبين عمقهم الحضاري.

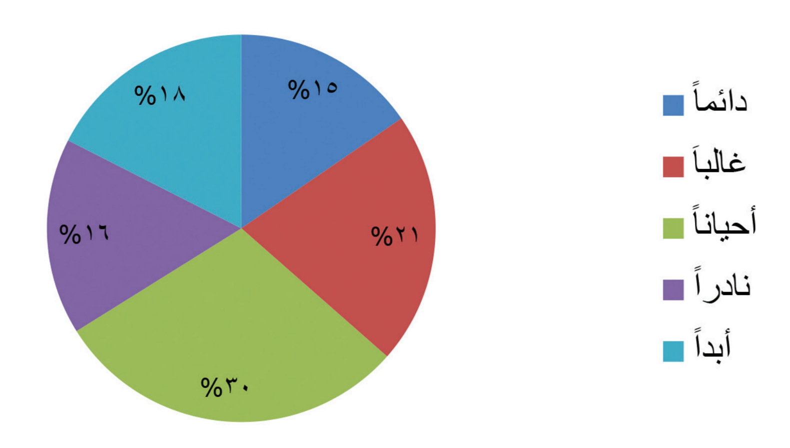
أفضل متابعة أفلام الأكشن والبرامج الثقافية الأمريكية لأنها تنمّي شخصيتي وتوسع ثقافتي.



تشير الإجابة إلى تقارب النسب تقريباً إذ إن ٢٨٪ أجابوا (أحياناً) و ٢٤٪ أجابوا (غالباً) و ٢١٪ (دائماً)، أي إن أكثر من ربع العينة ٢٨٪ عدوا أفلام الأكشن والبرامج الثقافية تساهم إلى حد ما بتوسيع ثقافتهم وتنمية شخصيتهم وهذه مسألة جداً طبيعية في ظل هذه الفئة العمرية التي تبحث وتسعى إلى ان تكون ذات أفق واسع واطلاع على ثقافات الآخر المختلف، ربما يدفعهم الفضول نحو كل جديد ومتميز في الحياة، ويدعم هذا الرأي نسبة ٢٤٪ من أفراد العينة أجابوا (غالباً) إذ ان العديد من متابعي أفلام الأكشن والبرامج الثقافية يستمتع بما يرى ويشاهد من مواضيع وقصص جديدة ومتميزة تسلط الضوء على زوايا جديدة من حياة الشباب وتناغم تطلعاتهم،

وان نسبة ٢١٪ أجابوا (دائماً) مما يعزز ما ذكرناه آنفاً. أما نسبة ١٧٪ ممن أجابوا (نادراً) و١٠٪ (أبداً) فهي نسبة مهمة إلا إنها لا تعد مؤشراً قوياً إذ من الممكن أن يكون هؤلاء ممن لا يتابعون هذه الأفلام والبرامج وينشغلون بأعمال أو اهتمامات أخرى أو ربما يحملون روئ وأفكار تبعدهم عنها. ويلاحظ أن هذه الوسيلة من وسائل القوة الناعمة قد حققت نجاحاً واضحاً باستقطاب عدد كبير من الطلبة نحو نمط الثقافة الأمريكية.

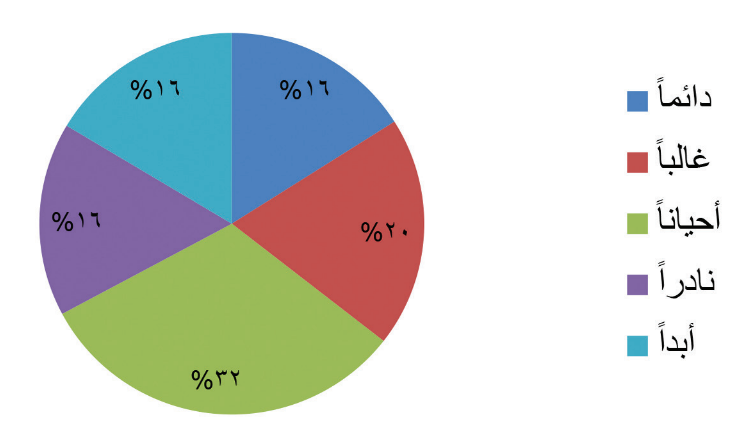
عند متابعتي للأفلام والبرامج الأمريكية عبر القنوات الفضائية ومواقع الأنترنيت أصبحت اكثر حباً للنمط الثقافي الأمريكي



وأجابت نسبة ٢١٪ (غالباً) مما يعني أن أكثر من خمس عدد أفراد العينة ممن يتابع هذا النوع من الأفلام والبرامج قد تأثر اتجاهه وأصبح أكثر حباً للنمط الثقافي الأمريكي مما يشير إلى نجاح هذه الوسائل بجذب متابعيها نحو النمط الثقافي الأمريكي. ويلاحظ أيضاً أن نسبة ١٨٪ من أفراد العينة كانت إجابتهم (أبداً) وهي قريبة من نسبة الإجابة المعاكسة التي أشرنا إليها آنفاً، ولكنها تدل على ضعف تأثر هذه النسبة من العينة بنفس الوسائل المذكورة. ونستنتج تباين أفراد العينة عند الإجابة على هذه الفقرة وهذا يوحي إلى وجود صراع فكري ونفسي لوجود تفاوت بين القيم التي يؤمنون بها

والسلوك والتوجهات التي انجذبوا نحوها عند أفراد العينة، مما يجعلنا نستنتج بان أفراد العينة مازالوا إلى الآن لم يكتمل لديهم التشكل الفكري الواضح الذي يدفعهم لاتخاذ قرار حاسم إزاء نمط الثقافة الأمريكي، وما يؤكد ذلك هو نسبة ١٦٪ أجابوا (نادراً) في حين نسبة ١٥٪ إجابتهم معاكسة وهي (دائماً). ومن الممكن أن يعود سبب ذلك إلى أن الولايات المتحدة ورغم تكثيف أدوات ووسائل قوتها الناعمة بالترويج للعولمة ونمط الثقافة الأمريكية، إلا أنها كانت قبل أعوام قريبة محتلة للعراق، وأيضاً وجود عمق ديني وقيمي في المجتمع العراقي، مما ساعد على خلق توجه مقاوم لتأثيرات القوة الناعمة ومحاولة الحفاظ على الاتجاهات والقيم المحلية إلى حد ما، ولكن حالة الصراع هذه قد لا تستمر طويلاً.

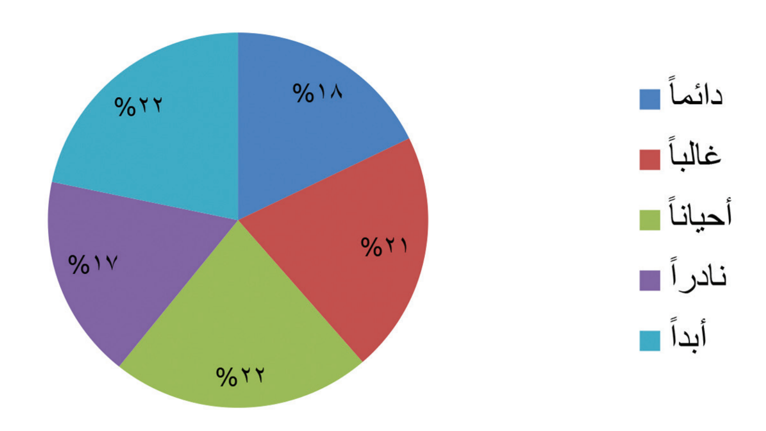
الانتماء والاخلاص للإنسانية ((للمجتمع الدولي)) بشكل عام أفضل من التمسك بالمفاهيم الوطنية.



إجابة أفراد العينة بنسبة ٢٠٪ (غالباً) معززة بنسبة ١٦٪ (دائماً) يبين لنا وجود ميل وتوجه عند أكثر من ثلث العينة لقبول الانتماء والإخلاص لمفهوم الإنسانية والمجتمع الدولي على حساب التمسك بالمفاهيم الوطنية مما يشير إلى نمو اتجاه نحو العولمة وتقبلها بنسبة معتدّ بها وقبول أفكارها ومتبنياتها. في حين كانت إجابة أفراد العينة بنسبة ٣٢٪ (أحياناً) يدل أما إلى ضعف الوضوح أو اللامبالاة حيال المفاهيم المطروحة، ولكن على العموم يمكن اعتبارهم من غير المتأثرين بالعولمة ومفاهيمها وطروحاتها. ومن الواضح بأن نسبة الذين أجابوا (أبداً) ١٦٪ و(نادراً) ١٦٪، تعني أن ما يقارب ثلث العينة لم يقتنعوا بطروحات العولمة ولم يتأثروا بوسائل القوة الناعمة

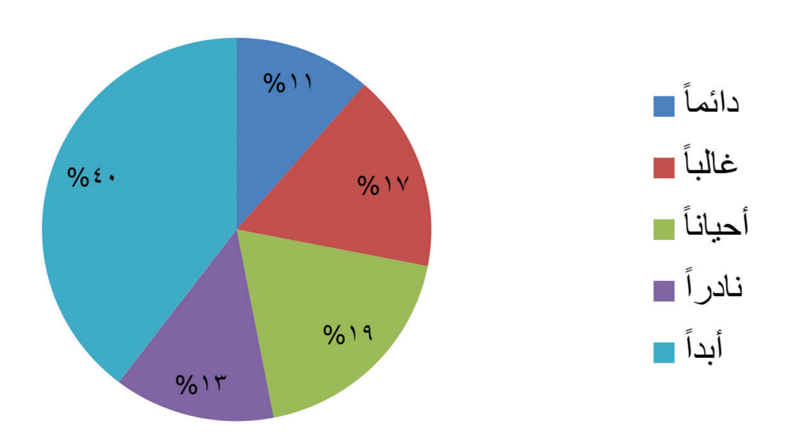
بشكل واضح من هذا الجانب، ومازالوا محافظين ومتمسكين بالمفاهيم الوطنية وضعف تقبلهم للعولمة وثقافتها التي تدعو إلى كسر الحواجز الوطنية والقومية ومغادرة مفاهيمها. ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند إجابتهم على هذه الفقرة.

نمط الحياة الأمريكية يحقق السعادة أكثر من نمط الحياة العراقية.



تعكس إجابة العينة التقارب بين النسب كافة بشكل واضح مما يولد انطباعاً قد يبدو عاماً بانه لا توجد رؤية واضحة أو قناعة حقيقية بأن نمط الحياة الأمريكية يفضي إلى السعادة أكثر من نمط الحياة العراقية عند شريحة كبيرة من الطلبة، في حين كانت قناعة عدد كبير منهم تتجه بشكل معاكس، أي ان حالة الصراع القيمي هنا واضحة بشكل كبير، وقد أحدثت تأثيراً واضحاً وخلقت قناعة لدى شريحة كبيرة بأرجحية نمط الحياة الأمريكية وقدرته على تحقيق السعادة.

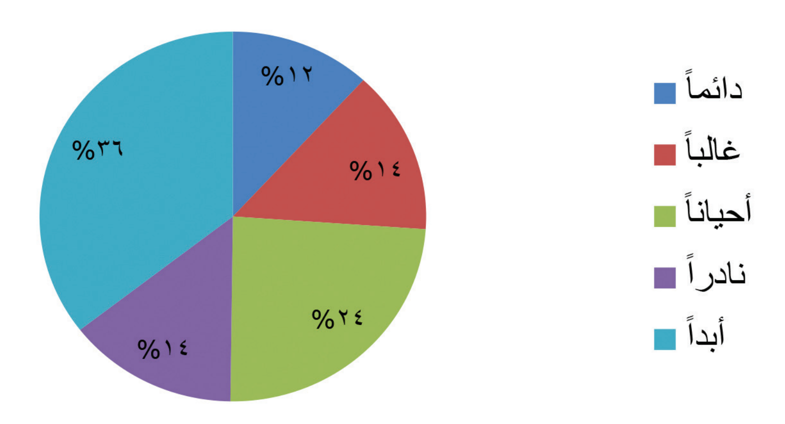
محددات الدين الاسلامي تعيق الافراد من تطوير حياتهم.



أجاب ٤٠٪ من أفراد العينة (أبداً) وهذا مؤشر ذو دلالة إحصائية على شيوع فكرة التمسك بمحددات الدين الإسلامي كونه عامل لا يعيق تطوير الحياة، وأجاب ١٣٪ (نادراً) وهذا يعزز التوجه الديني الواضح لأكثر من نصف أفراد العينة، مما يشير إلى عمق وتأصل القيم الدينية لدى طلبة الجامعة الذين يمثلون شريحة مهمة من المجتمع. في حين أجاب ١٩٪ (أحياناً) وهذه الإجابة لا تنفي ولا تؤكد ما ذكرناه آنفاً، وقد أجاب ١٧٪ من أفراد العينة (غالباً) وهي نسبة ليست بالكثيرة الواضحة ولا بالقليلة التي تهمل بل لابد من أخذها بنظر الاعتبار ودراسة أسبابها خصوصاً عند ملاحظة نسبة ١١٪

أجابوا (دائماً) وكلاهما يمثلان أكثر من ربع العينة. ونستنتج من إجابات العينة على هذه الفقرة بان الأغلبية العظمى من طلبة الجامعة متمسكين بالمحددات الدينية ولا يعتقدون أنها تعيق تطوير الأفراد والحياة، إلا أننا أشّرنا وجود ناقوس خطر يدعونا إلى دراسة الآراء المعاكسة للتوجه العام للعينة.

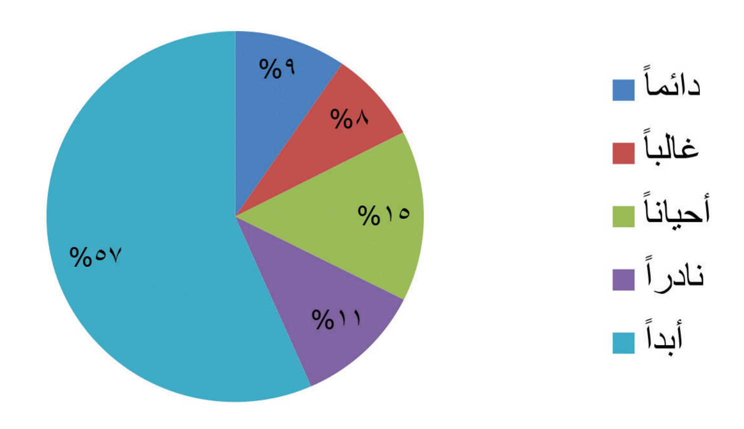
التمسك بالمظاهر الدينية يمنع التطور والمدنية.



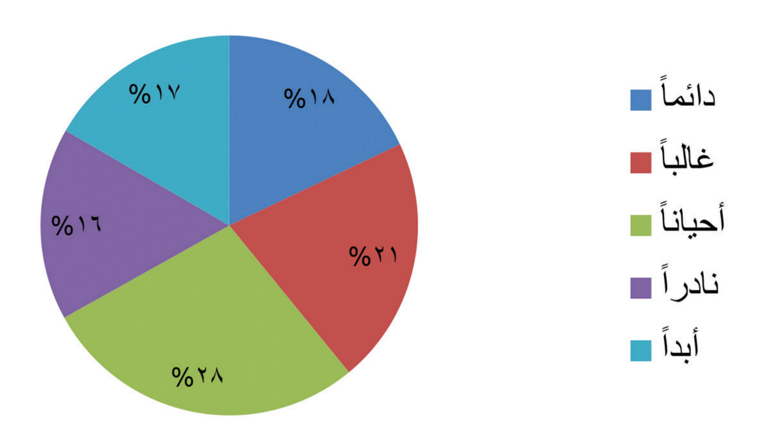
أجاب ٣٦٪ من أفراد العينة (أبداً) وهذا يؤكد قناعة طلبة الجامعة بالمظاهر الدينية وثبوتها وترسخها لكونها لا تقف ضد المدنية والتطور، ويعزز ذلك إجابة ١٤٪ (نادراً)، أي إن نصف أفراد العينة يؤيدون التمسك بالمظاهر الدينية لأنها لا تمنع من التطور والمدنية بل قد تعزز ذلك. وأجاب ٢٤٪ (أحياناً) وهي تمثل ربع العينة تقريباً وهؤلاء توحي إجابتهم إلى ترددهم وضعف وضوح الرؤية لديهم ربما لقلة ثقافتهم وضعف اطلاعهم ومعرفتهم بالدين والثقافة بشكل عام. وأجابت نسبة ١٤٪ (غالباً) وهي دلالة على وجود عدد غير قليل ممن يعتقدون بأن المظاهر الدينية تمنع التطور والمدنية، ويعزز

ذلك نسبة ١٢٪ أجابوا (دائماً) وهو توجه رافض للمظاهر الدينية باعتبارها عقبة أمام التطور والمدنية، وهاتان النسبتان لا يمكن أن تهمل ولابد من دراستها ومعرفة أسبابه. ويمكننا أن نستنتج تشتت آراء العينة عند إجابتهم على هذه الفقرة.

أحترم حرية الأشخاص الذين يمارسون المثلية الجنسية.



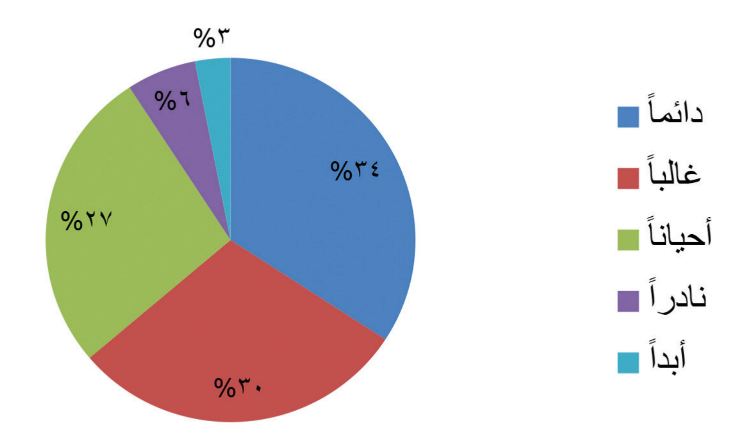
إجابة أفراد العينة قاطعة وتمثل اتجاهاً واضحاً يعكس قوة التمسك بالمبادئ والقيم الدينية والأخلاقية في المجتمع وطلبة الجامعة بشكل خاص. إذ أجاب ٥٧٪ (أبداً) أي رفضهم لهذا النوع من العلاقة والممارسة المخالفة للدين والفطرة الإنسانية، وهي من ثوابت الدين الإسلامي. وتوزعت بقية الإجابات على نسبة ١٥٪ (أحياناً) وهؤلاء لم يبدُ لهم موقف محدد إزاء المثلية الجنسية، و٩٪ (دائماً) يعاكسها ١١٪ (نادراً) ونسبة ٨٪ (غالباً) وتشير هذه النسب إلى وجود أعداد قليلة جداً تتقبل هذه الممارسة، أما لضعف فهمها أو جهلها بها أو ربما تكون قد وقعت تحت تأثر الأنموذج الأمريكي الذي يتقبل ذلك.



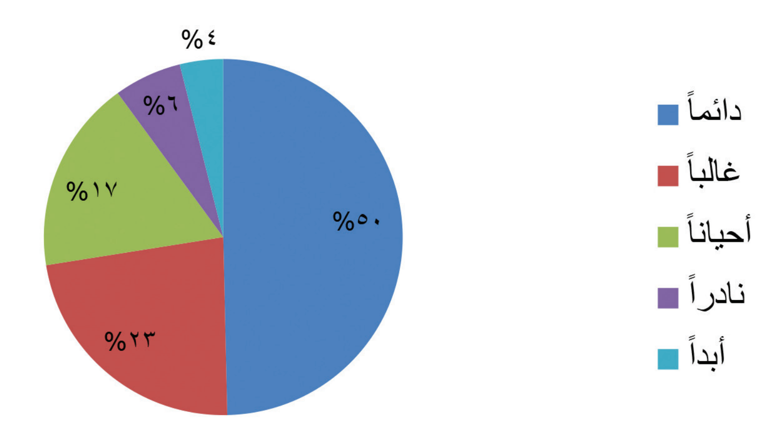
إجابة أفراد العينة على هذه الفقرة يبرز ضعف الاتجاه لاختيار شريك الحياة على أساس الثراء والإيمان بالحرية، إذ إن نسبة ٢٨٪ كانت إجابتهم (أحياناً) و ٢١٪ (غالباً) و ١٨٪ كانت إجابتهم واضحة وانهم يفضلون أن يكون الشريك ثري ويؤمن بالحرية وهي نسبة قليلة إلى حد ما سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار بان ١٧٪ إجابتهم (أبداً) و ١٦٪ إجابتهم (نادراً). على الرغم من أن الدين الإسلامي يعد الحرية محددة بضوابط معينة وعند اختيار الشريك يقدّم صفات عديدة قبل النظر إلى الثروة، إلا أن عدداً غير قليل من أفراد العينة كان لهم رأي آخر، ربما لكون هذا الجانب لا يمثل قيمة دينية أساسية بنظرهم أو بسبب

تأثرهم بالأنموذج الأمريكي الذي ينادي بقيم الحرية والرأسمالية ويعطي أهمية كبيرة للثروة والمال على حساب القيم الأخرى.

يتميز المجتمع العراقي بسمات وخصائص ايجابية لابد من المحافظة عليها.



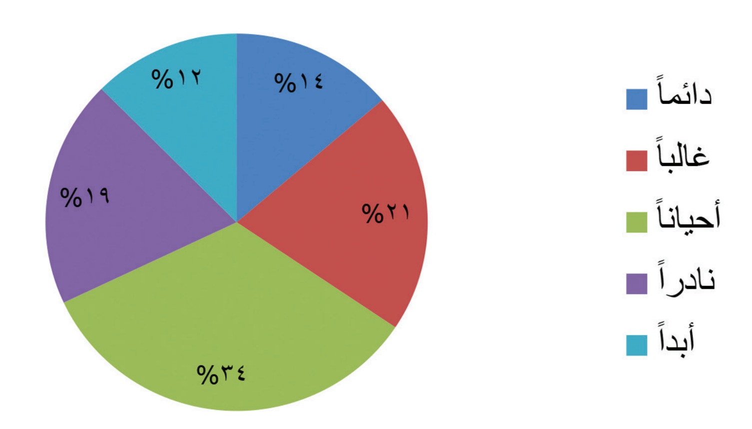
أجاب ٣٤٪ (دائماً) وهي نسبة تفوق ثلث العينة وتعطي دلالة إحصائية واضحة على وعي وإدراك بل ووجود اتجاه واضح لدى أفراد العينة باعتزازهم بسمات وخصائص مجتمعهم وضرورة المحافظة على القيم كونها إيجابية، ويدعم هذا الاتجاه نسبة ٣٠٪ أجابوا (غالباً) مما يعزز اتجاه أغلب أفراد العينة بالاعتزاز بالقيم المجتمعية وضرورة المحافظة عليها. ونسبة ٢٧٪ أجابوا (أحياناً) ورغم دلالتها الإحصائية غير القطعية إلا أنها لا تعارض التوجه العام ولا تتفق بالضد منه. في حين ان نسبة ٦٪ وهي قليلة جداً كانت إجابتهم (نادراً) وهي ذات دلالة ضعيفة، ونسبة٣٪ (أبداً) وهي دلالتها ضعيفة جداً أيضاً.



أجاب ٥٠٪ (دائماً) أي إن نصف أفراد العينة يمتلكون اتجاهاً واضحاً يبين مدى اعتزازهم بحضارة بلدهم ومدى معرفتهم بإسهاماته الحضارية في مجالات مهمة كالكتابة والقانون وعلم الفلك وهو اتجاه ذو دلالة إحصائية واضحة، في حين أجاب ٢٣٪ (غالباً) وهي لا تخرج عن التفسير الأول على الرغم من أنها تمثل رؤية وموقف أكثر مما تمثل اتجاه قاطعاً وواضح المعالم. وأجاب ١٧٪ (أحياناً) وهذه الإجابة قد تعكس لنا ضعف إدراك لما أسهمت به الحضارة السومرية والبابلية، وهي مسألة طبيعية بحكم الفروقات الفردية في القراءة والاطلاع والثقافة العامة لدى أفراد العينة. في حين أجاب

٦٪ (نادراً) و ٤٪ (أبداً) وهي ذات دلالة إحصائية تعكس حالة منفردة ومنعزلة تعكس حالة بعض السمات الثقافية والاجتماعية لأفراد من العينة.

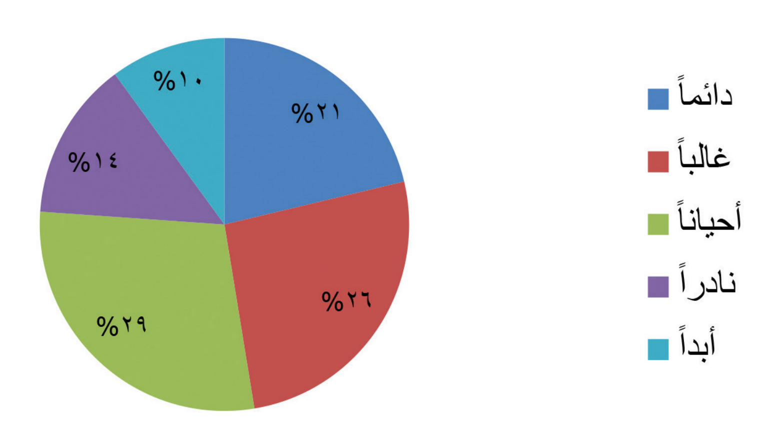
الثقافة الوافدة وبخاصة الثقافة الأمريكية يمكنها أن تغني وتطور الثقافة المحلية.



أجاب ٣٤٪ من أفراد العينة (أحياناَ)، وهذا يعني أن أكثر من ثلثهم ليس لديه رؤيا واضحة بأن الثقافة الوافدة وبالذات الأمريكية يمكنها أن تغني وتطور الثقافة المحلية، وهذا أما يأتي من ثقتهم بثقافتهم المحلية أو ضعف صورة الثقافة الوافدة إلى الآن، فيما أجاب ١٩٪ (نادراً) وهي معتد بها ممن تمسكوا بثقافتهم المحلية ولا يكترثون بالثقافات الوافدة وبخاصة الأمريكية. ونسبة ١٤٪من أفراد العينة تشير إلى (دائماً) وتعززها إجابة ٢١٪ (غالباً)، وكلا النسبتين تتعديان الثلث مما يعني وجود ميول وانفتاح واضح ممن لديهم قناعة بأن الثقافات الوافدة والأمريكية بوجه الخصوص تملك القدرة على إغناء الثقافة المحلية، وهذا قد يعكس حالة الانبهار بالأنموذج الجديد

وما يقدمه من أفكار ومفاهيم جديدة عن الحياة مختلفة عما هو سائد في الثقافة المحلية. ونسبة ١٢٪ ممن أجابوا (أبداً) قد تعكس الانغلاق الثقافي أو التمسك بالثقافة الملحية وعدم الثقة بالثقافات الوافدة وبخاصة الأمريكية. ويمكن أن نقول بان انفتاح طلبة الجامعة على الثقافات الوافدة وخاصة الأمريكية لم يكن مطلقاً وإنما يعكس الرغبة بالانفتاح من اجل إغناء الثقافة المحلية وتطويرها مع الحذر والريبة المسبقة، والرغبة بالمحافظة على الموروث الثقافي المحلي وعدم المساس به.

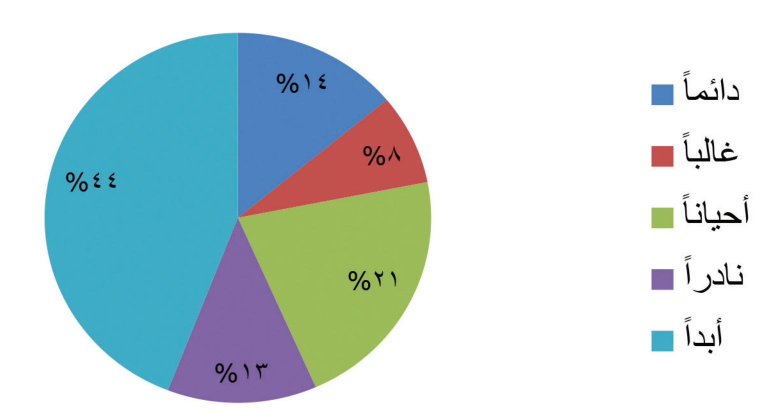
ان معرفتي لنمط الحياة الأمريكية حفّزني على العطاء والسعي الى تطوير بلدي مادياً ومعنوياً.



أجاب ٢٦٪ (غالباَ) وأجاب ٢١٪ (دائماَ) وهي بمجموعها تقترب من نصف أفراد العينة وإجابتهم تعكس حالة إيجابية تدل على المعرفة بنمط الحياة الأمريكية والقدرة على الاستفادة منها في بناء البلد، في حين كانت إجابة نسبة ٢٩٪ من أفراد العينة أجاب (أحياناً) وهؤلاء أما انهم ليس لديهم معرفة بنمط الحياة الأمريكية أو أن هذا النمط لا يرقى لديهم إلى مستوى التحفيز على العطاء والسعي إلى تطوير بلدهم. وأجاب ١٤٪ (نادراً) ويبدو أن هؤلاء لا يثقون كثيراً بنمط الحياة الأمريكية لذا لم يشكل لديهم حافزاً قوياً للاستفادة منه في بناء بلدهم، والذين أجابوا (أبداً) كانت نسبتهم ١٠٪ وهم لا يتقبلون هذا النمط ولا يتعاطون معه. من خلال إجابة أفراد العينة نستنتج

أن القوة الناعمة الأمريكية بجميع وسائلها وأدواتها حققت نجاحاً محدوداً بتحفيز البعض من طلبة الجامعة على بناء بلدهم اقتداءً بنموذجها ونمط حياتها، وهذه صفة إيجابية للاستفادة من الثقافات المختلفة لإغناء الثقافة المحلية.

اتمنى الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية لكي أمارس الحرية بعيداً عن القيود التي تفرضها عائلتي.

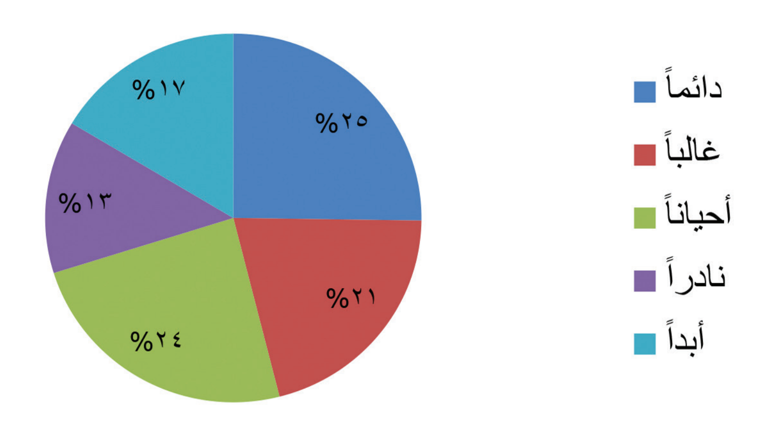


نلحظ الرفض الواضح لنسبة عالية من أفراد العينة لهذه الوسيلة من وسائل القوة الناعمة الأمريكية إذ أجاب ٤٤٪ منهم (أبداً) مما يعني تمسكهم بتقاليدهم العائلية ونمط الحياة والقيم الثقافية والاجتماعية ولم تؤثر عليهم المغريات التي يقدمها نمط الحياة في المجتمع الأمريكي المبني على الحرية والإفلات من القيود العائلية، وهذه حالة فريدة من نوعها اذا ما لاحظنا الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الضاغطة على المجتمع العراقي وخصوصاً فئة الشباب والطلبة وان رفضهم للهجرة بهذه النسبة الإحصائية لها دلالات عميقة تفيد بتمسكهم بالبقاء في بلدهم رغم صعوبة وتعقد الكثير من الظروف ورفضهم الانسياق إلى حرية منفلتة من خلال الهجرة إلى

الولايات المتحدة الأمريكية وهي حالة تستحق تسليط الضوء عليها والتدقيق بدراستها والاهتمام بها.

ونلحظ أن بقية نسب أفراد العينة تشير إلى أن ٢١٪ كانت إجابتهم (أحياناً) وهي قليلة نسبة إلى الإجابة التي ذكرناها آنفاً وتعزز ما ذكرناه إزائها، ويقابلها ١٣٪ أجابوا (نادراً) و ١٤٪ (دائماً)، وهاتان النسبتان متقاربتان جداً وتفيد إلى ضعف في تمني الهجرة طلباً لحرية منفلته ويعزز ذلك النسب الضعيفة للذين كانت إجابتهم (غالباً) وهي ٨٪.

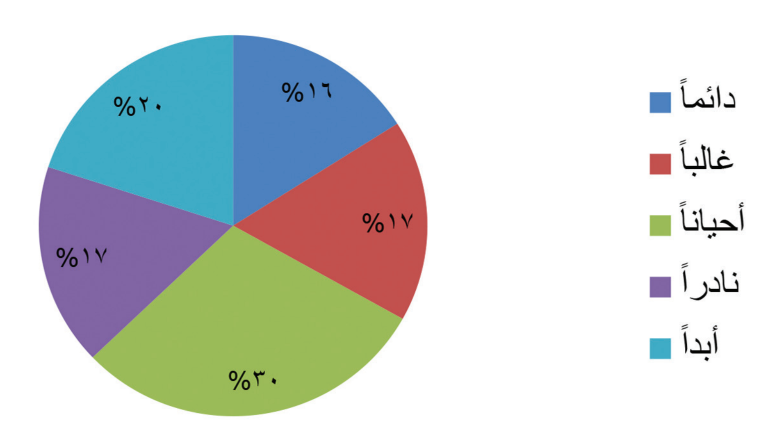
الأسرة المثالية لا تنجب أكثر من طفلين.



أجاب ربع العينة ٢٥٪ (دائماً) مما يعطي دلالة إحصائية على أن مفهوم التحضر سائر بالاتجاه نحو تقليل عدد الإنجاب وتكوين اسر تعد من وجهة نظرهم مثالية تنجب طفلين فقط. ونسبة ٢١٪ أجابت (غالباً) وهي لا تختلف في جوهرها عن سابقتها. وتبرز ٢٤٪ من أفراد العينة إجابتها (أحياناً) وهذه ذات دلالة إحصائية لا ترفض ولا تتقاطع مع تكوين أسرة مثالية تنجب طفلين فقط. مما يؤشر وجود اتجاه واضح مثلته الإجابات الثلاثة السابقة بتفضيل بناء الأسرة من طفلين فقط ربما يكونوا متأثرين بالتوجه الغربي عموماً ونمط الأسرة الأمريكية بصورة خاصة، وهذا يمثل ابتعاداً عن التوجه الذي كان سائداً ومميزاً للأسرة العراقية بكثرة إنجابها وتعدد

أفرادها. وكانت نسبة ١٧٪ أجابت (أبداً) على الرغم من انه لا يمثل عدداً كبيراً من أفراد العينة إلا أنه مؤشر ذو دلالة إحصائية على التمسك بالاتجاه المحافظ على شكل الأسرة العراقية وضعف التأثر بنمط الأسرة الأمريكية، ويعزز ذلك نسبة ١٣٪ أجابوا (نادراً) وهي إجابة تتفق في جوهرها مع الاتجاه السابق.

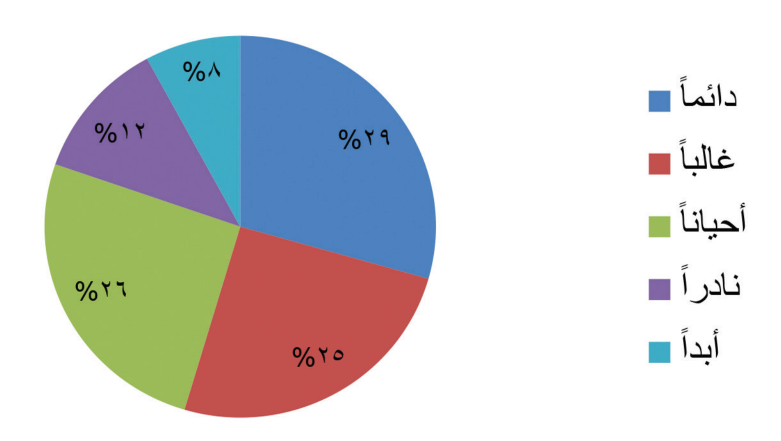
ان الولايات المتحدة الأمريكية تقوم ببناء الحضارة الانسانية أفضل من جميع الحضارات السابقة.



أجاب ٣٠٪ من أفراد العينة (أحياناَ) وهذه الإجابة تقترب من الثلث وتمثل اعلى نسبة إجابة للخيارات المطروحة وربما تدل على صعوبة تمييز الطلبة لمعنى الحضارة الإنسانية فاختاروا الجواب (أحياناً) لأنه لا يشير إلى قرار باتجاه محدد. وأجاب نسبة ٢٠٪ (أبداً) وهي نسبة مهمة وجيدة كانت لها إجابة محددة ورأي واضح بان الولايات المتحدة الأمريكية لا تقوم ببناء حضارة إنسانية أفضل من جميع الحضارات السابقة وهؤلاء لم يبهرهم النمط الثقافي الأمريكي ولم يغير قناعاتهم، وتعززها نسبة ١٧٪ أجابت (نادراً). وتقترب نسبة الإجابة ١٦٪ (دائماً) من ١٧٪ (غالباً) لتعطي دلالة واضحة على نجاح القوة الناعمة الأمريكية بتوليد قناعة لدى نسبة معتد بها من

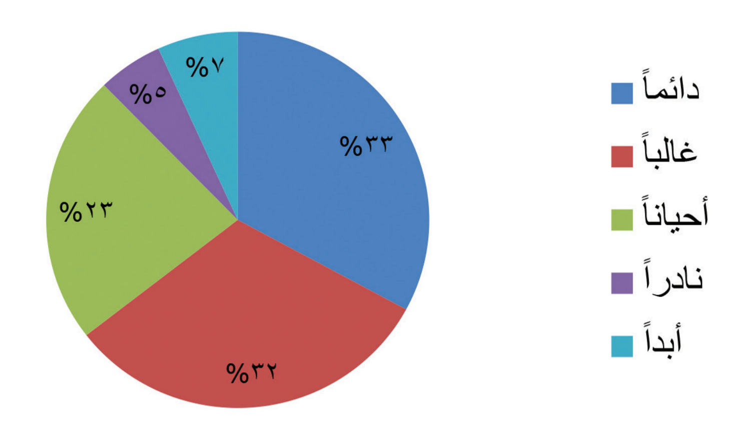
طلبة الجامعة بأنها قادرة على بناء الحضارة الإنسانية أفضل من جميع الحضارات السابقة.

السلوك الحضاري الحالي في العراق لا يتقبل الآخر، والسلوك الأمريكي أكثر انفتاحاً.



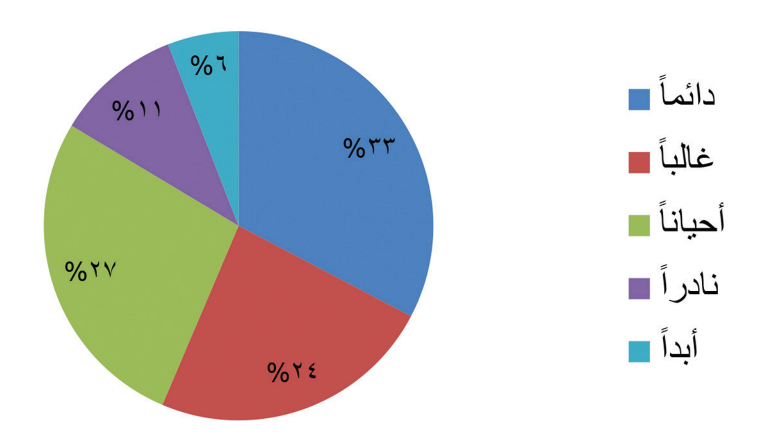
تفضي إجابة ٢٩٪ (دائماً) و٢٥٪ (غالباً) و٢٦٪ (أحياناً) إلى وجود دلالة إحصائية على أن ما هو سائد عموماً في العراق هو ضعف تقبل الآخر والسلوك الأمريكي أكثر انفتاحاً وتقبلاً للرأي الآخر. في حين كانت إجابة ١٢٪ (نادراً) و٨٪ (أبداً) مما يؤكد مرة أخرى على وجود الدلالات الإحصائية التي تؤكد الرأي الذي ذكرناه آنفاً، ويثبت وجود نظرة إيجابية وتوجه لقبول السلوك الحواري الأمريكي، ويعود ذلك إلى ظروف الصراعات التي سادت المجتمع العراقي في الفترة الأخيرة، ورغبة طلبة الجامعة للاستفادة من النمط الأمريكي في هذا المجال وتطلعهم إلى توسيع مساحة الحوار المشترك.

تمثل القبائل والعشائر عمقاً مهماً في تكوين المجتمع العراقي.



أجاب ما يقارب ثلث أفراد العينة بنسبة ٣٣٪ (دائماً) ويمثل إدراك مهم لدى أفراد العينة بطبيعة مجتمعهم القائم بأحد أركانه المهمة على العشائر والقبائل، ويعززها نسبة ٣٢٪ (غالباً) تذهب بنفس الاتجاه تقريباً. أما نسبة ٢٣٪ الذين أجابوا (أحياناً) له دلالة على أن هؤلاء ربما لا يتمتعون بثقافة اجتماعية كافية لكي يكون لهم اتجاه واضح بصدد القبائل والعشائر. في حين أن نسبة ٧٪ أجابوا (أبدا) وهي نسبة قليلة جداً ودلالتها خفيفة، مع ٥٪ أجابوا (نادراً) وهي لا تختلف عن سابقتها بدلالتها الإحصائية.

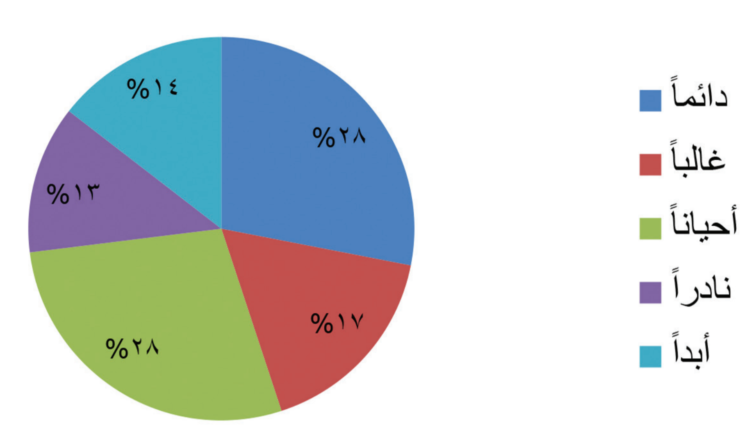
بعض العادات والتقاليد العشائرية تعرقل الانسجام مع التطور العالمي.



تمثل إجابة نسبة ٣٣٪ ثلث أفراد العينة (دائماً) مما يدل على وجود اتجاه تغييري واضح يرى ضرورة إصلاح المنظومة العشائرية وتغيير بعض أعرافها وتقاليدها والتي يعتقد أنها تعرقل الانسجام مع التطور العالمي، ويعزز هذا الاتجاه نسبة ٢٤٪ من العينة الذين أجابوا (غالباً) ليؤكدوا ضرورة عملية الإصلاح. وأجاب نسبة ٢٧٪ من العينة (أحياناً) وهؤلاء لم يتضح موقفهم بشكل جلي من علاقة العادات والتقاليد والأعراف العشائرية بالانسجام مع التطور العالمي. في حين أجابت نسبة ١١٪ (نادراً) و٧٪ (أبداً) مما يشير إلى وجود دلالة إحصائية بضعف في عرقلة العادات والتقاليد والأعراف العشائرية لعملية الانسجام مع التطور العالمي. وتدل المؤشرات

الإحصائية على إدراك أفراد العينة لضرورة الانسجام مع التطور العالمي وان بعض العادات والتقاليد والأعراف العشائرية تعرقل هذا الانسجام وهي بحاجة إلى الإصلاح لتحقق الانسجام مع التطور العالمي.

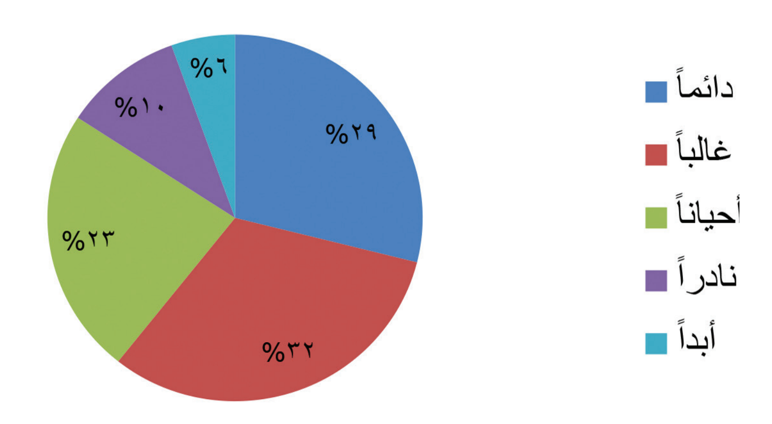
لابد من الغاء المنظومة العشائرية لأنها تمثل نمطاً قديماً يمنع التطور والرقي الاجتماعي.



أجاب ٢٨٪ من أفراد العينة (دائماً) وترى أن التطوير الاجتماعي يتطلب إلغاء المنظومة العشائرية لأنها تمثل نمطاً قديماً، وأجاب بنسبة ١٧٪ (غالباً) وهم يتخذون موقفاً قريباً من الفئة التي سبقتهم. وكانت نسبة ٢٨٪ أجابت (أحياناً) إذ لم تتخذ موقفاً واضحاً من موضوع إلغاء المنظومة العشائرية وعلاقتها بالتطوير والرقي الاجتماعي. ونسبة ١٤٪ إجابتهم (أبداً) وتعكس وجود توجه أو ميل نحو الحفاظ على المنظومة العشائرية كونها لا تعرقل التطور الاجتماعي، ويعزز هذا الاتجاه نسبة ١٣٪ أجابوا (نادراً) وهي نسبة ذات دلالة لحالة الإيمان والقناعة الواضحة لديهم بان المنظومة الاجتماعية لا تعرقل التطوير الاجتماعي. ونلاحظ نمو اتجاه طلبة الجامعة

بـان المنظومـة العشـائرية وعاداتهـا وتقاليدهـا وأعرافهـا بحاجـة إلـى مراجعة وإصـلاح كيـلا تعرقل تطوير المجتمع، وقد يكونـوا متأثرين بالنمط الأمريكـي أو بغيره الذي لا يحتوي علـى منظومـة عشـائرية مشـابهة. وهـذا مـن التأثيـرات الواضحـة للقوة الناعمـة الأمريكيـة.

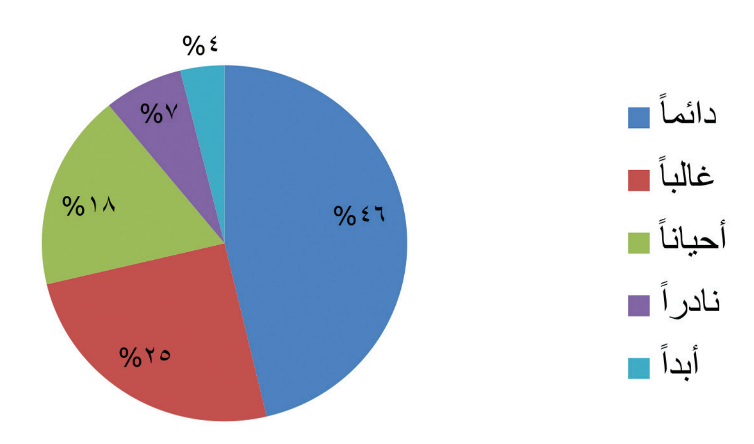
المناهج التعليمية والفعاليات التثقيفية التي تنظمها الجامعة ساعدت الطلبة على تطوير سلوكهم الحضاري.



ما يقارب ثلث أفراد العينة كانت إجابتهم (غالباً) و ٢٩٪ (دائماً) وهذه الإجابة تبين لنا دلالة إحصائية واضحة على أن المناهج التعليمية والفعاليات التثقيفية التي تنظمها الجامعة تساعد الطلبة على تطوير سلوكهم الحضاري. مما يدل على وجود اتجاه واضح يعكس نجاح المناهج التعليمية والتثقيفية للجامعة وقدرتها على تطوير السلوك الحضاري، رغم أن ٢٣٪ من أفراد العينة أجابوا (أحياناً)، فيما أجاب ١٠٪ من العينة (نادراً) و ٦٪ (أبداً) وتمثل نسبة إحصائية ضعيفة لا يمكن تسليط الضوء عليها كونها قد تعكس حالة الفروقات الفردية لفئة قليلة من أفراد العينة ليس لديها القدرة على التفاعل مع

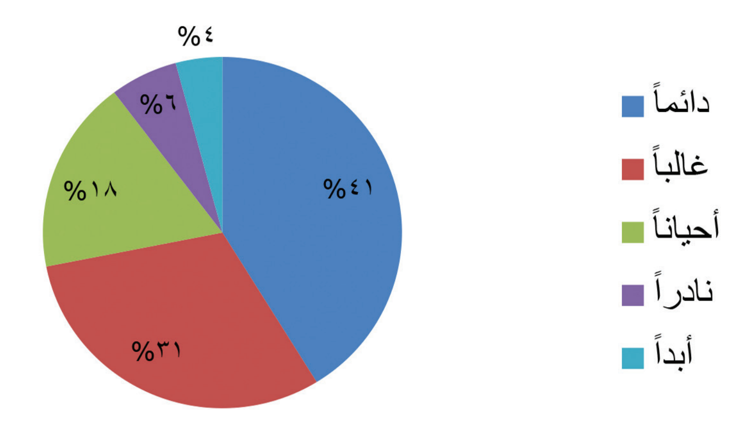
مضمون المناهج والفعاليات الثقافية التي تقوم بها الجامعة لتطوير السلوك الحضاري للطلبة.

الجامعة هي المكان الخصب للتعرف على الثقافات الوافدة وتمييز ايجابياتها وسلبياتها.



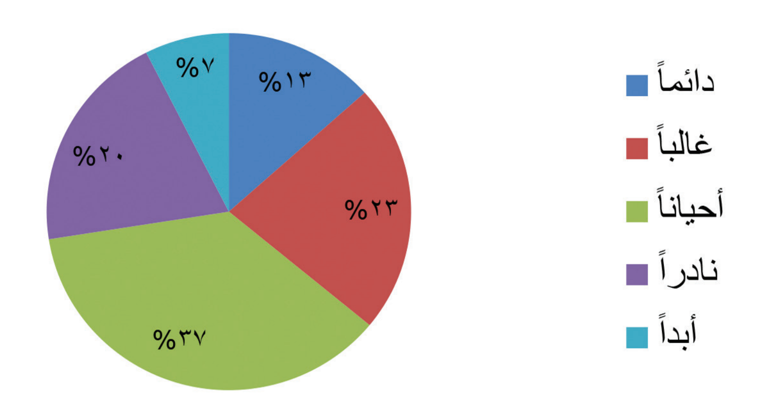
تشير إجابة ٤٦٪ من أفراد العينة (دائماً) إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية على أن الجامعة صرح الثقافة وتؤدي دوراً كبيراً في عملية التنشئة الثقافية للطلبة. فيما أجاب ٢٥٪ (غالباً) وهي نسبة تمثل ربع أفراد العينة وإجابتها تعزز مكانة الجامعة وأهمية دورها في توعية طلبتها من خلال تعريفهم على الثقافات الوافدة ومساعدتهم على تشخيص إيجابياتها وسلبياتها. أما بقية الإجابات وهي ١٨٪ (أحياناً) و٧٪ (نادراً) و٤٪ (أبداً) فهي لا تمثل اتجاهاً أو رؤية واضحة بقدر ما تعكس موقفاً أو فكرة غير متكاملة مثلته لنا العلاقة الإحصائية لهذه الإجابات.

وجودي في الجامعة جعلني احافظ على القيم والسلوكيات الحضارية الأصيلة.



تشير الإجابات على هذه الفقرة إلى وجود اتجاه واضح لدى أفراد العينة بأن وجودهم في الجامعة كان إيجابياً. إذ جعلهم يحافظون على قيمهم وسلوكياتهم الحضارية الأصيلة، وهذا ما مثلته إجابة ٤١٪ (دائماً) و ٣١٪ (غالباً) وهي مؤشرات ذات دلالة إحصائية واضحة تعكس وجود هذا الاتجاه لدى أفراد العينة، أما نسبة ١٨٪ التي كانت إجابتهم (أحياناً) فلم يكن موقفهم واضحاً، بينما كانت نسبة ٦٪ إجابتهم (نادراً) و ٤٪ إجابتهم (أبداً) دلالتها وعلاقتها الإحصائية تبدو ضعيفة إلى حدٍ كبير.

الطالب الجامعي يتقبل الثقافات الوافدة وبخاصة ثقافة النمط الأمريكي كبديل عن الثقافة المحلية.



أجاب نسبة ٣٧٪ من أفراد العينة (أحياناً) وتشير الإجابة إلى تردد وضعف الرؤية لديهم، أو ربما يكون لديهم حواجز نفسية جعلتهم لا يتخذون موقفاً إيجابياً واضحاً. ولكن نسبة ٢٣٪ من أفراد العينة كانت إجابتهم (غالباً) وهو ميل واضح لصالح تقبل الثقافات الوافدة وبخاصة ثقافة النمط الأمريكي ويعزز ذلك نسبة ١٣٪ الذين كانت إجابتهم (دائماً) وهم الفئة المنفتحة بالكامل وبدون تردد، ويقابل ذلك نسبة معتد بها من العينة بلغت ٢٠٪ أجابوا (نادراً) وهم لا ينسجمون مع هذا التوجه ومعهم نسبة ٧٪ يرفضون التعاطي مع ثقافة النمط الأمريكي ولا يتقبلونها كبديل لثقافتهم المحلية. نستنتج أن القوة

الناعمة الأمريكية قد حققت نجاحاً محدوداً بإقناع أكثر من ثلث أفراد العينة على تقبل نمطها الثقافي كبديل عن الثقافة المحلية.

نتائج التحليل الإحصائي:

جعلت الأحداث والمتغيرات التي طرأت على العراق وأخرجته من طوق الانعزال الدولي وفتحت أبوابه أمام مشاريع العولمة الأمريكية وقواها الناعمة يدخل في خضم صراع حضاري بآليات ووسائل جديدة كان الشباب العراقي من أهم أهدافه، ومن خلال مناقشة المؤشرات الإحصائية تبين بأن القوة الناعمة الأمريكية قد أحدثت تأثيراً واضحاً في سلوك الشباب العراقي تمثل بالآتي:

سارت الولايات المتحدة قدماً في تعزيز قوتها الناعمة وهي تخطط في البعد الاستراتيجي للاحتفاظ بريادتها العالمية وتفوقها على جميع الدول في هذا المجال[١]، وتسعى إلى تطوير وتعزيز مصادر ووسائل قوتها الناعمة، وتكثف من استخدامها وتنوعها في مناطق نفوذها، ويعد العراق من المناطق المهمة في المدرك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، وقد داهمته بقواها الظاهرة والخفية وأدخلته في صراع جديد. ويمكن أن نورد أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها بالآتي:

القوة الناعمة الأمريكية الموجهة نحو المجتمع العراقي وفئة

---

[١] أنظر تقرير مجلس الاستخبارات القومي الأميركي ٢٠١٢ الاتجاهات العالمية ٢٠٣٠.

الشباب تحديداً أثّرت سلبياً في سلوكهم واتجاهاتهم وأحدثت تأثيراً نسبياً في القيم الحضارية، ورافق ذلك تأثيرات إيجابية بسيطة.

وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية وتماشياً مع استراتيجية العولمة إلى إقامة مجتمع مدني عالمي مفتوح بعيداً عن المفاهيم والهوية الوطنية، ويعتبر المجتمع العراقي هدفاً أساسياً لها، وحققت نجاحاً نسبياً في ذلك مما يشكل تهديداً على بناء الدولة العراقية ومستقبلها.

وتسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى استقطاب النخب والكفاءات العلمية في بلدان العالم عبر فتح الزمالات والمنح الدراسية، لإعدادهم واستثمارهم في نشر قيمها ونمطها الثقافي على حساب الثقافة والحضارة المحلية وأحداث فجوة بين الشعوب وعمقها الحضاري تمهيداً لدمجها مع النمط الأمريكي للتحكم بسياساتها ومقدراتها، وحققت نجاحاً واضحاً بجذب واستمالة عدد كبير من العراقيين، مما يشكل خطراً على التوجهات السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع والدولة بشكل عام.

والتفريق بين مفهومي القوة الناعمة والحرب الناعمة، لأن المفهوم الأول يمكن استخدامه لصالح المجتمع اذا ما أحسنت

النخب والمؤسسات الرسمية التعامل مع مصادرها المحلية، كما يمكن أن يستخدم ضده اذا تراجع الاهتمام المحلي ونشط الاستهداف من قبل الخصوم، بينما يشير مفهوم الحرب الناعمة إلى استخدام القوة الناعمة للإضرار بالمجتمع المستهدف. واذا استمدت الحرب أسبابها من جذور تاريخية فإنها تتحول إلى صراع متعدد الأشكال والمظاهر، لا ينطلق من أسباب سياسية أو اقتصادية فحسب بل تتوسع لتشمل أسباباً تاريخية ممتدة إلى عمق حضاري يتجدد بين حقبة وأخرى، وتعتبر ظاهرة الصراع ذات أبعاد متناهية التعقيد، بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة، حيث تعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى[١].

وتكمن خطورة الصراعات والحروب الناعمة في أنها توجه قوتها تدريجياً إلى اللاوعي لتنفذ إلى النفوس وتجذب القلوب وتكسب العقول وتؤثر في نمط التفكير، وتتدخل بالتنشئة الاجتماعية للأفراد عبر تغييرها لسلوكهم وتوجهاتهم وتشكيل هويتهم الذاتية والاجتماعية، وفي الأمد البعيد تعمل على تغيير قيمهم الحضارية بشكل تدريجي ومخطط دون أن تلفت الأنظار، مستخدمة وسائل ذكية ذات طبيعة لا عنفية ومحببة

---

[١] منير محمود بدوى، (١٩٩٧): مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع (أسيوط، مجلة الدراسات المستقبلية– جامعة أسيوط، العدد الثالث.

لدى الفئة المستهدفة، وهذا النهج يتماشى مع التوجهات الحديثة لعلم النفس الاجتماعي التي تعمل على تغيير السلوك والعادات التي تفضي إلى تغيير التوجهات، ومن ثم تغيير تدريجي للقيم.

وبحسب نهج الصراعات والحروب الناعمة المشار إليه آنفا فأنها ستكون مغايرة لما أطلق عليه بالغزو الثقافي الذي كان يواجه قيم المجتمع المستهدف بطريقة مباشرة وصدامية وواضحة.

وأصالة القيم الحضارية العراقية، وصلابتها، و(المتمثلة بالقيم الدينية والقيم الاجتماعية الثقافية والقيم القبلية) قلل من تأثيرات القوة الناعمة الأمريكية.

وهذه النتيجة مهمة للغاية وينبغي على أثرها إعادة تقييم الشخصية العراقية وفقاً لمعايير تعتمد الإحصاء والبيانات والمناهج العلمية الرصينة، فقد تبين لنا صلابتها وتمسكها بقيمها لا سيما الدينية كما أنها على درجة عالية من الاعتداد بالنفس ومرونة في تغيير السلوك، إنها تشابه بشكل كبير صفات النخلة العراقية الأصيلة ذات الجذور الثابتة والجذوع الشامخة والسعف المتمايل مع الريح ذات اليمين وذات الشمال

مما جعلها تقاوم تقلب الظروف البيئية وتحافظ على بقائها وديمومتها ومصاحبتها للعراقيين منذ فجر التأريخ وإلى يومنا هذا. ويمكننا أن نطلق على هذه الصفة بـ(التوافق الاحتوائي) فالشخصية العراقية تخوض صراعاً مستمراً بين قيمها الأصيلة والقيم الوافدة على مر العصور ولم تفقد أصالتها وصلتها بعمقها الحضاري، وقد تكون مرونة السلوك واحدة من أهم الأدوات التي ساعدت على تقليل وطأة الصراع وتخفيف آثاره، كما أن التراكم الحضاري له دور كبير في ترسيخ صفة التوافق الاحتوائي لإنتاج شخصية مكافحة صبورة لها القدرة على مقاومة تقلب الظروف البيئية والاجتماعية وقساوتها في أغلب الأحيان والمحافظة على أصالتها وديمومتها.

وأحدثت القوة الناعمة الأمريكية صراعاً قيمياً أدى إلى انقسام طلبة الجامعة إلى ثلاثة أقسام متقاربة في نسبتها، القسم الأول تأثر وانجذب نحو الأنموذج الأمريكي، والقسم الثاني مازال متردداً بحسم توجهه، أما القسم الثالث فمحافظ على عمقه القيمي وثبات سلوكه الحضاري، وإذا استمر هذا الصراع على نفس الوتيرة فمن المرجح أن يميل القسم الثاني باتجاه القسم الأول ويعاد تشكيل السلوك الحضاري والهوية الاجتماعية مبتعداً عن العمق القيمي العراقي ومقترباً من

الأنموذج الثقافي الأمريكي، أي إن المجتمع العراقي يخوض صراعاً ناعماً مع الولايات المتحدة الأمريكية سينتج **(سلوكاً)** اجتماعياً متغيراً ومتحركاً، **وليس شخصية متناقضة، ويعمق ظاهرة التناشز الاجتماعي البشرية، فهي ليست حكرا على (الشخصية العراقية) والشواهد كثيرة وهي متواجدة في عموم الشخصيات وفي مختلف بقاع المعمورة.**[١]

والمناهج التعليمية والفعاليات التثقيفية التي تنظمها الجامعات العراقية غير كافية لمواجهة القوة الناعمة الأمريكية ولا تساعد الطلبة في الحفاظ على سلوكهم الحضاري.

وأظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود تفاوت في تأثير وفاعلية الوسائل والأدوات التي استخدمتها القوة الناعمة الأمريكية في طلبة جامعة بغداد بحسب المواقع الإلكترونية ومحركات البحث العالمية الموجهة ووسائل التواصل الاجتماعي والتي تستخدم من خلال الحاسوب والهواتف الذكية، كانت ناجحة في جذب الفئة المستهدفة. ولهذه الوسيلة تأثيرات نفسية واجتماعية تعمل على إحاطة مستخدمها بجو افتراضي بعيد عن الواقع وتكوين شعور نفسي وعاطفي وحالة فكرية خارج

---

[١] هذا الموضوع بحاجة إلى إعادة مراجعة من ذوي الاختصاص بطريقة علمية تظهر الصفات الحقيقية للشخصية العراقية.

إطار الواقع المعاش مما يؤدي إلى شعور بالاغتراب النفسي والاجتماعي والعزلة والضياع، وضعف الانتماء وفقدان الثقة، والانسلاخ عن الواقع ورفض القيم والمعايير الاجتماعية.

والزمالات والمنح الدراسية الأمريكية المقدمة للطلبة والباحثين العراقيين لها جاذبية لشريحة واسعة من طلبة الجامعة. وتكمن خطورة هذه الوسيلة بان الولايات المتحدة الأمريكية تعدها من وسائل صناعة قادة الدول والمجتمعات والقطاعات العامة والخاصة الذين تعول عليهم في التكفل بنقل قيمها وثقافتها إلى مجتمعاتهم[١].

والإعلام والقنوات الفضائية والإذاعية الموجهة استطاعت أن تجذب طلبة الجامعة نحو النمط الثقافي الأمريكي. ولهذه الوسائل دور كبير في تعزيز وتوسيع مساحة جاذبية القيم والرموز الثقافية للمؤسسات الأميركية، وتقليص نفوذ منافسيها وأعدائها، وكان لمصانع هوليود للإنتاج الإعلامي والسينمائي تأثير كبير في هذا المجال.

والعلامات التجارية للمطاعم والملابس والمواد الاستهلاكية، استطاعت أن تحقق نجاحاً في جذب واستمالة شريحة من

---

[١] راجع التقرير الذي نشرته الصفحة الإلكترونية للسفارة الأمريكية في العراق.

طلبة الجامعة.

والمؤتمرات وورش العمل والبرامج التدريبية المختلفة التي شارك بها مستويات نخبوية وطلابية وشبابية، لها تأثيرات محدودة.

ومنظمات المجتمع المدني التي تعمل بتمويل أمريكي وتديرها شخصيات عراقية مقتنعة بالنمط الأمريكي نفّذت برامج ثقافية وتنموية وتأهيلية أثرت بشكل محدود في جذب واستمالة طلبة الجامعة نحو النمط الثقافي الأمريكي.

وفتح باب الهجرة لشرائح اجتماعية مختلفة من الولايات المتحدة لم تلقَ اهتماماً واضحاً من طلبة الجامعة مما يعني ضعفها في جذبهم واستمالتهم.

سبل مواجهة الصراع الناعم

تكثيف البحوث والدراسات في مجال الصراع الناعم والحرب الناعمة لتسليط الضوء على تأثيراتها الآنية والمستقبلية.

وتفعيل دور النخب بنشر ثقافة الانتماء الوطني والتكاتف المجتمعي والتطور الحضاري.

وتأسيس مراكز دراسات ومجالس ومنتديات علمية متخصصة في مجال القوة الناعمة لرصد وتحليل القوى المؤثرة على مختلف الشرائح الاجتماعية، وتقوية المقاومة الاجتماعية وتفعيل القدرات الشخصية الكامنة للمحافظة على القيم الحضارية الأصيلة، والعمل على تفعيل واستخدام القوة الناعمة الوطنية، وطرح الخطط والآليات المناسبة لتحويل التهديدات إلى فرص وحسم الصراع الناعم لصالح المجتمع العراقي.

دعوة مؤسسات الدولة للقيام بواجبها الوطني لرسم سياسة البلاد بما يحقق المحافظة على القيم الحضارية وحماية السلوك الحضاري، ومواجهة القوة الناعمة الأمريكية وغيرها.

العمل على معالجة مظاهر الخلل في البنية الداخلية للدولة من خلال التعرض للمشكلات المجتمعية كالبطالة، الفقر، الصحة، التعليم ومكافحة الأمية، للنهوض بالمجتمع وتحقيق

التنمية الاجتماعية.

وتكثيف الاهتمام بالمناهج التعليمية والتثقيفية وترسيخ التأصيل الحضاري في جميع المراحل الدراسية. واستثمار الوسائل والأدوات التربوية والثقافية في العراق؛ لإطلاق المشروع الثقافي النهضوي لمواجهة التحديات والصراعات المستمرة.

واستثمار الدور الذي تلعبه المرجعيات الدينية في الجانب الاجتماعي وتكثيف الاهتمام بالأطفال والشباب والمرأة وتحصينهم ضد القيم السلبية الوافدة. ودعوة رؤساء القبائل وشيوخ العشائر للعمل على إدخال إصلاحات على العادات والتقاليد التي لم تعد مناسبة وتعرقل الانسجام مع التطور العالمي، واستثمار كفاياتهم العلمية الثقافية بتوثيق انتماء أبناء المجتمع لقيمهم الأصيلة؛ لأن القبائل في العراق تمثل قيمة حضارية أصيلة، وليست كما يصورها البعض بأنها امتداد مستمر للبداوة.

ودعوة العوائل لزيادة الاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية بالتعاون مع المختصين في مجال العمل الاجتماعي.

ودعوة الجامعات لتوسيع القبول في الدراسات العليا للخدمة الاجتماعية وفتح تخصص إدارة العمل الاجتماعي في الدراسات

العليا لأهمية هذه الاختصاصات في تنظيم المجتمع وحماية سلوكه الحضاري.

وتفعيل دور مؤسسات العمل والخدمة الاجتماعية وتطوير الأخصائيين الاجتماعيين للمساهمة في زيادة الوعي الوطني وترصين القيم الاجتماعية وحمايتها أمام موجات العولمة بمختلف توصيفاتها الثقافية والإعلامية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ومراقبة عمل المنظمات الدولية في العراق والوطن العربي وخصوصاً التي لها فعاليات ثقافية وسياسية.

الخاتمة

على أرض العراق كتبت قصة الإنسان وتأسست الحضارة الأولى، وبدأ صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، واستمرت حركة التاريخ ولن تتوقف إلا بقيام الحضارة الخاتمة.. إنه وعد الله.

وكان لهذه المسيرة الحافلة تأثير واضح على تكامل الشخصية العراقية وقدرتها واستعدادها للتعامل مع ظروف الحياة المختلفة بأفراحها وأتراحها وقساوتها ومرونتها وجميع تقلباتها، بسبب النتاجات العلمية والعملية والثقافية والفكرية، والحروب والصراعات المختلفة التي خاضها الإنسان العراقي على مر العصور، ولكي نحافظ على هذا النمط المتميز ونسرّع عجلة التطور الفردي والمجتمعي والإنساني بشكل عام لابد أن تحظى هذه الشخصية برعاية خاصة، وذلك لا يتحقق إلا بعد إجراء تحليل علمي معمّق للشخصية العراقية وإظهار تفاصيلها وسماتها ومميزاتها لمن يريد تطويرها وقيادتها نحو الأهداف والغايات الإنسانية العليا.

وهذا هو مشروعنا القادم بإذن الله إن بقينا وبقيت الحياة

المحتويات